المولد النبوي المختار

بسم الله الرحمن الرحيم

المولد النبوي المختار

محمد صلى الله عليه وسلم

وهو القصة الفائزة في المباراة الإسلامية العامة

اختارته لجنة التحكيم من هيئة كبار العلماء
وأقرته وزارة الأوقاف للحفلات الدينية الرسمية

وأشار بإذاعته وإحلاله محل الموالد القديمة
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

قراءه واعتنى بنصِّه

أ.د/ علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

وشيخ الطريقة الصديقيَّة الشاذلية

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر

المولد النبوى المختار

ص: ١٧×٢٤

عدد الصَّفحات: ١١٢

رقم الإيداع :

٢٠٢١/٣٠٢٤٤م

الترقيم الدولي :

٩٧٨-٩٧٧-٦٨٠٢-٤٣-٨

قرأه وعلق عليه:

أ.د/ علي جمعة

الطَّبعة الأولى

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

التصميم الطِّباعي والإخراج الفنى:

أمين أحمد زكريا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه،،،

أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ بالهدى ودين الحق وجعله أسوة حسنة للعالمين فقال تعال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وأقام الله سبحانه وتعالى الآيات ودافع عنه لقوله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج:٣٨].

فلم يحظ إنسانٌ قطُّ مِن لَدن آدمَ إلى رسول الله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ بمثل ما حَظِيَ به سيدنا محمد بن عبدالله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ مِن تتبعٍ لسيرته مِن وقائع الميلاد وحتى

الوفاة في حركاته وسكناتِه في سلمِه وحربِهِ في صفاتِه الخلقية والخُلقية، وقد تَركَنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولو أن المسلمين ألفوا لجانًا شتى مِن كافةِ أنحاء العالم الإسلامي للتفتيشِ عمَّا كُتبَ حول سيدنا رسول الله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ، فربما تَفْنى أعمارُهم قبلَ أنْ يحُيطوا بما كُتبَ عنهُ مِن وقائعِ المِيلادِ والوفاة والَحركاتِ والسّكنات، والحرب والسلم، والصِّفَاتِ الخُلقية والخَلقية وهيئتِه في مَلبسهِ وعَاداتهِ، وليس هذا فقط، بل ستصلُ هذِه اللجان إلى نتيجة أنه لم يُوجد غيرُ فَردٍ واحدٍ في العالم الإنساني دُوِّنَ عنهُ كل هذا، بحيثُ لو جُمِعَ جميعُ ما كُتبَ عنه صلى الله عليه وآله لتكونتْ مِن ذلك مَكتبة عظيمة تتفوقُ على أعظمِ مكتباتِ العالم ضخامة واتساعًا واستيعابًا، ثم سيجدُ الباحث المنصف بعد هذا كله أنّ كل ما كتب لم يوفِّ المقام المحمدي جزءًا من حقه.

ومن أنواع التآليف حول سيدنا رسول الله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ، التآليف المولدية، وهي كثيرة جدًا، وقد قام العلامة المحدث محمد عبد الحي الكتاني في بحث مستقل عنوانه «التآليف المولدية» حاول فيه استقصاء غالب ما كتب عن المولد الشريف، مع ذكره صعوبة ذلك، وقد ذكر بعضها الأستاذ صلاح الدين المنجد في كتابه معجم ما ألف عن رسول الله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ وإن كان لم يستوعبها كما ذكرنا.

ومن هذه المؤلفات الصغيرة المفيدة المولد المختار لمؤلفه عبدالله بك العفيفي الباجوري المتوفي في سنة ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين وكانت موافقة لسنة ألف وثلاثمائة وأربعة وستين من الهجرة، وقد تقدم به مؤلفه في مسابقة، فاختارته لجنة تحكيم من هيئة كبار العلماء في عصره وأقرته وزارة الأوقاف للحفلات الدينية والرسمية حينئذٍ وأشار بإذاعته وإحلاله محل الموالد القديمة التي كانت تُقرأ الإمام الأكبر

شيخ الأزهر الأستاذ محمد مصطفى المراغي رحمه الله تعالى المتوفى في سنة ألف وتسعمائة وخمس وأربعين والموافقة لسنة ألف وثلاثمائة وست وأربعين من الهجرة .

ولقد طُبع هذا الكتاب سنة ألف وتسعمائة وسبع وثلاثين في مجلة الإسلام ولم يطبع فيما نعلم بعد هذه الطبعة مرة أخرى.

والكتاب يحتوي على ذوق عالٍ ونفس متميز في الشعر والأدب وسيأتي في ترجمة مؤلفه أنه كان من الخطباء المتميزين والشعراء الكبار في زمانه إضافة إلى حبٍ متأصلٍ في نفسه إلى سيدنا رسول الله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ، فأردتُ إخراجه مرة أخرى؛ لكي يتذكر المسلمون مرة أخرى تراثهم وما تركه الآباء والأجداد، فيزيد تعلقهم بسيدنا رسول الله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ، فاللهم تقبل منا وارزقنا شفاعة سيدنا يوم القيامة واحشرنا تحت لوائه واسقنا من يده الشريفة شربة ماءٍ لا

نظمأ بعدها أبدًا وارزقنا دوام الاحتفال به وإظهار الفرح بقدومه كل عام مع دوام رؤيته يقظة ومنامًا فاللهم آمين.

أ.د/ علي جمعة
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشَّريف
وشَيخ الطريقةِ الصَديقيَّةِ الشَّاذليةِ

ترجمة المؤلف(١)

اسمه، وتاريخ مولده



هو عبد الله عفيفي الباجوري، ولد سنة (١٣٠٧هـ-١٨٨٩م) في قرية «ميت عفيف» إحدى قرى مركز الباجور التابع لمحافظة المنوفية.

نشأته وتعليمه

تلقى تعليمًا نظاميًا في المدارس الحكومية، والتحق بكلية دار العلوم وتخرج فيها سنة ١٩١٢م.

درجاته الوظيفية

عمل كمدرس بمدرسة المنصورة الابتدائية، ثم في المدرسة السلطانية الثانوية التي سميت بعد ذلك بمدرسة الخديوي إسماعيل، ثم اتصل بالملكة نازلي، وأهدى إليها

(١) تم الاعتماد في كتابة هذه الترجمة على ما يلي: تقويم دار العلوم، لمحمد عبد الجواد، صدر بمناسبة العيد المئوي لجامعة القاهرة.[١/٤٢٠]، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر٤/١٠٣.

كتابه «المرأة العربية بين جاهليتها وإسلامها»، ثم بعد هذا نُقل محررًا عربيًا بديوان الملك، ثم صار إمام الملك، وكان يلقي القصائد في حضور الملك، وعمل كرئيسٍ لرابطة الأدب العربي.

انضم إلى العمل الخيري، فكان عضوا في هيئات كثيرة، منها:

١- جماعة مساعدة فقراء مكة والمدينة.

٢- جمعية مشغل مصر الخيري للبنات.

٣- رئيسا للجمعية التعاونية بالمطرية.

مؤلفاته

تنوعت مؤلفات عبد الله بك عفيفي بين نثر وشعر، ومن هذه المؤلفات:

١- المرأة العربية بين جاهليتها وإسلامها، ويقع في ثلاث مجلدات، طبع أولا بدار إحياء التراث العربي- عيسى البابي الحلبي ١٩٢١م، أما طبعته الثانية، فطبعته دار المعارف، بتاريخ ١٣٥٠هـ ١٩٢٣م.

٢- **المولد المختار**، وهو الكتاب الذي نعتني بنشره، وطبع بمطبعة مجلة الإسلام سنة ١٩٣٧م.

٣- **مجموعة من المقالات والقصائد** نشرت في مجموعة من الصحف والمجلات، كالأهرام- البلاغ- الرسالة-الإسلام، ومن قصائده «عيد الأضحى».

٤- وله **مقدمة لديوان** الشاعر محمد مصطفى الماحي.

وفاته

توفي رحمه الله تعالى في القاهرة سنة ١٣٦٤هـ ١٩٤٤م.

صورة من إبرازة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

توسل وابتهال

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ يَا رَافِعَ السَّمَاءِ، وَسَامِعَ الدُّعَاءِ، وَمُلْهِمَ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، تَبَارَكَتْ آيَاتُكَ، وَتَعَالَتْ كَلِمَاتُكَ، وَتَقَدَّسَتْ ذَاتُكَ، وَتَسَامَتْ صِفَاتُكَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُنْعِمٍ وَسِعَتْ نِعْمَتُهُ كُلَّ سَابِحٍ فِي الْمَاءِ، وَسَائِحٍ فِي الْهَوَاءِ، وَسَارِحٍ فِي الْخَضْرَاءِ، وَسَارِبٍ فِي الظَّلْمَاءِ، وَمُسْتَكِنٍّ فِي الْأَحْشَاءِ، وَمُضْطَرِبٍ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ.

نَحْمَدُكَ حَمْدًا لَا يَبْلُغُهُ الْبَيَانُ، وَنَشْكُرُكَ شُكْرًا لَا يُوَفِّيهِ اللِّسَانُ، وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى عَلَمِ الْأَعْلَامِ، وَإِمَامِ الْأَنَامِ وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ، وَبَاسِطِ السَّلَامِ بِالْإِسْلَامِ، مُحَمَّدٍ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ، وَهَادِي الْعَالَمِينَ، وَقَامِعِ الظَّالِمِينَ

- ٩٠ -

الْبَاهِرَةِ ، وَنَفَحَاتِكَ الطَّاهِرَةِ الأُمَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ
وَأَنْ تَعْصِمَهَا بِحَبْلِكَ وَتَمُدَّهَا بِحَوْلِكَ وَتَحْبُوهَا
عِزَّ الْجَاهِ وَرِفْعَةَ الْحَيَاةِ ، وَأَنْ تَتَعَاهَدَ
مُؤَلِّفَ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَقَارِئَهَا وَسَامِعَهَا وَكَاتِبَهَا
بِرَحْمَتِكَ الْفَيْضِيَّةِ فَإِنَّكَ مَالِكُ الْمُلْكِ وَهَادِي
الْهُدَاةِ

كتبها محمود الشحات الخطاط
١٣٥٦ - ١٩٣٧

المولد النبوي المختار

بسم الله الرحمن الرحيم

توسلٌ وابتهالٌ

بِاسمِكَ اللَّهمَّ، يَا رافِعَ السّماءِ، وسَامعَ الدُّعاءِ، ومُلهِمَ الحَمدِ والثَّناء، تبَاركَتْ آياتُكَ، وَتَعالَتْ كَلِماتُك، وتَقَدَّسَتْ ذَاتُك، وَتسَامَتْ صِفَاتُك، سُبحَانكَ اللَّهُمَّ مِن مُنعِمٍ وَسِعَتْ نِعمَتُه كُلَّ سَابحٍ في المَاءِ، وسَانِحٍ في الهَواءِ، وسَارحٍ في الخَضرَاءِ، وَسَاربٍ في الظَّلماءِ، ومُستَكِنٍّ في الأحْشَاءِ، وَمُضطربٍ في الصَّخرةِ الصَّمَّاءِ.

نَحمَدُكَ حَمدًا لا يَبلُغُه البيانُ، ونشكُرُكَ شُكرًا لا يُوفِّيهِ اللِّسانُ، وَنُصلّي وَنُسلّم عَلى عَلَم الأعلَام، وَإمامِ الأنَامِ، ومَهبَط الوحي والإلهامِ، وَبَاسطِ السّلامِ بِالإسلامِ، مُحمّدٍ سيّدِ النَّبيِّينَ، وهادي العَالمينَ، وقَامعِ الظَّالمِينَ، وقائدِ الغُرِّ المُحَجَّلينَ، ورائدِ السَّابقينَ المُقرَّبينَ، والشَّفيعِ المُشَفَّعِ يَوم الدِّين، صلواتُ اللهِ

وسلامُه عليه وعلى آلِه المُطهّرينَ، وَصحَابتِه أجمعينَ، وتَابعيهِم على الحقِّ المُبين.

أمّا بَعدُ، فَهذِه قِصّةُ المَولِد النّبويِّ المُحمّديّ، نُذِيعُهَا في المُسلِمينَ تَيمُّنًا واهتداءً بِأكرمِ مَولودٍ في الوجُودِ، أرسَله اللهُ في الجَهالةِ الغَاشِيةِ، والضَّلالةِ الفَاشيةِ، والفِتنةِ الطَّاغيةِ العَاتيةِ، فَأنَارَ البَصَائرَ، وطَهَّر السَّرائرَ وأَيقَظ الضَّمَائرَ، وَهَذَّبَ المَشَاعِرَ، ووحَّدَ العَشائِرَ، وَأوثَقَ الأَواصِرَ، وسَاوَى بينَ الأكَابرِ والأصَاغِرِ، وَجعلَ الأُممَ المُتبَاعِدةَ أُمّةً وَاحِدةً، فكانتْ خيرَ أُمَّةٍ أُخرِجت للنَّاسِ.

والله المَسْئُولُ أنْ يَنفحَ المُسلمينَ بِروحٍ منه يُؤيِّدهُم بدِينهِ المُبينِ، وَيعصِمَهم بِحبْلِهِ المتينِ، وَيمنعهم بِرُكنِهِ الرَّكين، وَيؤلِّفُ بينهم أجمعينَ آمينَ.

مَالِكَ المُلكِ في يَديكَ قِيَادِي .. أَلهِمِ الحَمدَ والثَّناءَ فُؤادِي
يَاهُدى السَّالكينَ في كُلِّ شِعبٍ .. وَسنَا المُدلجِينَ في كُلِّ وَادِ
اهْدِ قَلْبِي وَخَاطِرِي وَضَمِيرِي .. غَايَةَ القَصدِ مِن سَبِيلَ الرَّشَادِ
لَهِجَتْ بِاسمِكَ الخَلائِقُ جَمعًا .. مِن مُنَاجٍ بِسُؤلِهِ وَمُنَادِ
كلُّهم سَائِلٌ وَأنتَ مُجيبُ .. تِلكَ نُعمَاكَ مَا لهَا مِن نَفادِ

يَا مَلاذِي وَمَوئلي وَعتَادي .. وَمَرامِي وَمَطْلَبِي وَمُرَادي
ارْوِ صَدرِي بنَفحةٍ مِنكَ يَا ربِّ .. لِأَحْظَى بِمدْحِ خَيرِ العِبَادِ
سيّدِ المرسلين هادي البَرايَا .. قَائِدِ المتّقين يَومَ المعَادِ
قامِعِ الظُّلم ناشِرِ العِلمِ والسِّلمِ .. مُميتِ الهوى، مُبيدِ الفَسادِ
الصّفيّ المطهَّر المُشرقِ السَّمْـ .. ـحِ المُضحّي بنفسِهِ الجَوادِ
مَالِئِ الأرضِ حِكمةً وبيانًا .. مِن مَعِينٍ يَفيضُ للوُرّادِ

يَا نَبيَّ الهدى تحيّةَ قَلبٍ .. مُستهَامٍ إلى لِقَائِكَ صَادِ
أيُّ خير ورحمة ورشادٍ .. وُلِدَت مَعكَ ليلةَ المِيلادِ

حَفَّكَ اللـه بِالكمَـالِ وَصَافَـا .. ك بخيـرِ الآبَـاءِ وَالأجْـدَادِ
نَسبٌ كالغَمَامِ صَفوًا وَطُهرًا .. وَفُروعٌ عَلـونَ كَالأطْـوادِ
وَبُطـونٌ بَرئْـنَ مِـن لَوثَـةِ العَـا .. رِ وَعَيْـثِ الهَـوَى عَلـى الآمَـادِ
حَـلَّ فِيهَـا العفَـافُ والشَّـرفُ المُـح .. ضُ مَحـلَّ الأروَاحِ فـي الأجَسـادِ
طَهّـرَ اللـه مَوطِنًـا أنـتَ مِنـهُ .. مِـن هَـوانِ الأرجَـاسِ والأحْقَـادِ
دَارةُ اللـه إنْ تَسَـامتْ دِيَـارٌ .. بِطَريـفٍ مِـن العُـلا وَتـلادِ
مَهبِطُ العَالمِينَ مِنْ كُلّ صَوبٍ .. قِبلـةُ الخَلـقِ كَعبـةُ القُصّـادِ
يَـا مُجيـري وَعِصمَتـي وَإمامِـي .. وَمَنَـاري وَقدْوَتـي وَعِمَـادِي
طِبتَ أصلًا، وَطِبتَ أهلًا وَطَابت .. مَكّـةُ الخَيـرِ مِـن رُبـى وَوِهَـادِ

وطنُ النبيّ وعشيرته

الله يَصطفي لِرحمَتِه مَن يَشاءُ، وَإِذَا أرادَ الله أَنْ يَصطَفِي عَبدًا مِن عِبَادِه اخْتَارَ وَطَنهُ وَأُمّته، وانتقى عشيرته وأسرته وطهّرَ بَيتَهُ وَبيئتَهُ، لِيُهيّئَ لَهُ الشّرفَ مِن كلّ نَواحِيهِ، وَيَضُمَّ لَه أطرافَ الكَمَالِ مِن أُصولِهِ وَحواشِيهِ.

ولَقَدِ اختَارَ الله لِسيّدِ المُرسَلينَ، أَشَرفَ بُقْعَةٍ في العَالِمينَ؛ لِتكُونَ مَشرِقًا لِطلعتِهِ، وَمَدْرجًا لِطُفولتِهِ، وَمسرحًا لنشأتِهِ، ومَربعًا لألفَتِهِ، ومرتعًا لفتوّته، ومبعثًا لنبوّته، وتلك هي مكّة المقدّسة المطهّرة، زادها الله شَرفًا وكمالًا، وعِزّة وجلالًا. فَلقَدْ تَجلّى الله عَلى مَكّة مُنذُ الأزلِ، فَبثَّ فِيهَا مِن رَحْمتِهِ، وَبسطَ عَليهَا مِنْ حُرْمتِهِ، وَحَاطهَا بِسيَاجٍ مِن أَمَنتِهِ، وَحفَّهَا بنطَاقٍ مِن مَنعتِهِ، وَدَفع عَنهَا كَيدَ المُعتَدِينَ، وردَّ عَنهَا بَغيَ المُفْسِدينَ، وحطَّمَ حَولهَا عُنفُوانَ الفَاتِحينَ،

وسَمَّى كُلَّ مَكانٍ باسمِهِ إلّا هِيَ، فقد سَمّاها مكّةَ، وكنَّاها أُمَّ القُرَى، ولقَّبَها بِالبلدِ الأَمِينِ، فَبُورِكَ مِن وطنٍ أنجبَ سيّدَ العَالمينَ.

خلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَرِيم، وانْصُرِ اللّهمَّ دِينَهُ القَوِيم، وَبَلِّغْهُ عنَّا أفضلَ الصَّلاةِ وَأمثلَ التَّسلِيم.

جَادَكَ الكوثرُ إنْ ضَنَّ السَّحابْ .. يَا رُبَى الأحَبابِ بِالوادي الأَمِينْ
يَامَجَالَ الوَحْيِ يَا أَرْضَ الكِتَابْ .. يَا مَنَار الدِّينِ يَا نُورَ اليَقِينْ
طَالَعَتْني مِن مَغانِيكَ الرّحَاب .. نَفحةٌ تروِي قُلوبَ المُؤمِنِينْ
إنَّها مِن رُوحِ رَبّ العَالمِينْ

وَتَجلّى البَرقُ في أُفِقِ الحِمى .. عَن مَغَاني الحقّ في البَيتِ الحَرامْ
سَافِراتٍ، زَاهِراتٍ، كُلّما .. لُحنَ ثَارَ القَلبُ مِن شَوقٍ وَهَامْ
أَيّهَا البَرقُ تَمهّلْ مُنعِمًا .. أُدنِ مِن عَينيّ أعلامَ السَّلامْ
إِنَّهَا سُؤلي وَقَصْدِي وَالمَرامْ

حَفَّها الرَّحمنُ ذُو العَرشِ المَجيدْ .. بِنطَاقٍ مِن سَنَاهُ المُشْرِقِ
بُنِيَتْ والدَّهرُ في المَهْدِ وَلِيدْ .. وَتَسامَتْ عَن خَيالِ المُرتَقِي
وَأَتَى المُختَارُ بِالفَضْلِ العَتِيدِ .. فَارتَقَت عَنْ مَغْرِبٍ أَو مَشْرِقِ
وَتَبَدّت مِثلَ تَاجِ المَفْرِقِ

يَا دِيَارَ الله يَا أَرضَ الفِدَاءْ .. مُهجَتِي تفديكِ مِن رَيْبِ الزَّمَانْ
بَسَطَ الرَّحمنُ مِن عَليَا السَّماءْ .. تَحتَ رُكنيكِ رِواقًا مِن أَمَانْ
أَنتِ لِي في سَاعَةِ الكَرْبِ الرَّجَاءْ .. فَاسْلَمِي وَالدَّهْرُ مَبذُولُ العَنان
سَوْفَ يَسعَى في هُدَاكِ الخَافِقَانْ

وَفِي مَكّةَ رَفَعَ إبراهِيمُ وَإسْمَاعِيلُ- عَليهِمَا السَّلامُ- قَوَاعِدَ البَيتِ الحَرَامِ، وَهُو أوّلُ بيتٍ وُضِعَ للأنَامِ.

وَلقَدْ تَداولَ مَكّةَ مُنذُ القِدَم، أُمَمٌ بعدَ أُمَم، حَتّى أَقَرّهَا اللهُ في أَيْدِي قُرَيْشٍ، وَهُم قَومُ النَّبيّ الزَّكيِّ وَعَشِيرَتُه، وَمِنهُم

أُبوّتُـه وَأُمُومَتُـه. وَقَـد عُرِفـت قُرَيـشٌ بِأنّهـا أَرفـعُ العَـربِ مَكانـا، وَأشـرفُها بَيانًـا، وَأرجَحُهَـا أحلامًـا، وَأرفَعُهَـا أعْلامًـا، وَأكرمُهَـا جُـدودًا، وأكثرُهَـا وُفُـودًا[١].

وَقَـدِ انْتَهـتْ رِيَاسَـةُ مَكّـة وَسِياسَـتُهَا، وَزعَامَـةُ قُرَيـشٍ وَقِيادَتُهـا إِلـى آبَـاء النّبـيِّ الكَرِيـمِ.

وَكَانـتْ قُريـش فِرَقًـا مُتنَافِرة، وَقِطعًـا مُتنَاثِـرة، فَألّفَهـا قُصَـيّ جـدُّه الرَّابِعُ وَجَعلهَـا أمَّـةً وَاحِـدةً.

وَجَـاء مِـن بَعـدِ قُصيٍّ وَلـدُهُ عَبْـدُ مَنـاف، فَجَعَلـتْ لَـهُ قُرَيشٌ سِـيَادَتَها، وَقِيَادتَهـا، وَوِفَادتَهـا، وَرِفَادَتِهَا[٢].

---

(١) وكانـت لقريـش سـنن صالحـة امتـازوا بهـا عـن العـرب جميعًـا. منهـا أنهـم كانـوا يقيمـون مناسـك الحج، ويكفنـون الموتـى، ويغتسـلون مـن المفارقة، ويأبـون الـزواج مـن البنـت وبنـت البنـت والأخـت وبنـت الأخـت، وكانـوا يزوجـون بالصـداق، ويؤكـدون الـزواج بالشـهود، ومـن هـذا الـزواج الكريـم ولـد سـيد الأنـام عليـه الصـلاة والسـلام.

(٢) الوفـادة، نـزول الوفـود، فـكان وفـود مكـة لا يكونـون إلا فـي ضيافـة عبـد منـاف، والرفـادة، إطعـام الحجيـج، فكانـت الأسـر العظيمـة ترافـد أي تنـزل عـن سـهم مـن مالهـا لعبـد منـاف، وبالمـال كلـه يشـترى الطعـام والزبيـب لإطعـام الحجـاج.

وَقَامَ بِالأَمْرِ مِن بَعدِه وَلدُهُ هَاشِمُ، وَكَانَ مِن أَعْظَمِ العَربِ عِلمًا، وَأرجَحهَا حِلمًا، وَأرْفِعهَا سَناءً، وَأكْثرِهَا سَخَاءً، وَكانَ اسْمُه عَمْرًا فَسمَّته قُريشٌ هَاشِمًا؛ لأنّه حينَ اشْتَدّتْ بِمَكّةَ المَجَاعَةِ نَحرَ الذَّبَائِحَ وَهَشَمَ الثَّريدَ، وَأطْعَمَ القَرِيبَ وَالبَعيدَ.

وَهُو أوَّلُ مَن آلَفَ قُرِيشًا رِحلةَ الشِّتَاءِ إِلى اليَمنِ الخَضْرَاءِ، وَرِحلَةَ الصَّيفِ إِلى الشَّامِ ومَا وَرَاءَ الشَّامِ.

وَأدْرَكَتْ رَحمَةُ الله هَذَا الزَّعيم الأمِينَ، بِمَدينةِ غَزَّةَ مِنْ أَرضِ فِلسْطِينَ، فَنهضَ بِأمرِ مَكّةَ مِن بَعْدِه أَخُوهُ المُطَّلِب، فَأقَام بِهَا مَا أقَامَ حتَّى وَافَاه الحِمَامُ. فَاضْطَلعَ بِالأمرِ مِن بَعدِه حَمَّالُ العَظَائِم، وَبذَّالُ المَكَارِم، عَبْدُ المُطَّلبِ بِن هَاشِم.

وكان عَبدُ المُطَّلبِ أقومَ العَربِ جِسمًا، وأوفَرهَا حِلمًا، وَأنْدَاهَا كَفًّا، وَأدْنَاهَا مِنَ الكَمَالِ، وَأبْعَدهَا عَنْ كُلِّ مُوبِقَةٍ تُفْسدُ الرِّجَال.

وَكَانَ أَشْبَهَ بِأبيهِ في شَرفِه وَعِفَّتِه، وَعِزَّتِه وَرِفْعَتِه، وَسِيَاستِه وَرياستِه، وَوِفَادَتِه وَرِفَادَتِه وَحُكْمِه وَحِكمته. وَكَانَتْ قُريشٌ تَعوُذُ بِرأيهِ في الملمَّاتِ، وَتَلوذُ بِجَاهِه في المُشكِلاتِ. وَقد فرَّجَ عَنهَا مَوَاطِنَ أطبَقَ فِيهَا البَلاَءُ، وَأَحْدَقتْ بِهَا البَأْسَاء[١].

وَمِنْ أَيمَنِ مَآثِر عَبدِ المُطّلِب حَفرُ زَمزَمَ المُطهَّرةِ بَعد أَنْ دَرَجَتْ عَليهَا السُّنون، فَأَخْفَتْ أَثَرهَا عَن العُيونِ، وَحَجبَتْ خَبرهَا عَن الظُّنونِ، وَلم يَعلَمْ أحَدٌ مِن قُريشٍ أينْ تَكُونُ. فَهدَى الله هَذا الزَّعِيمَ الحَكيمَ، إلى مَوضِعهَا مِن الأرضِ، فَنهضَ إليهِ وَمعَهُ ابنُه الحَارث، فمَا زَالا بِهَا حتّى فَاضَ المَاءُ فَكبّرَ الرّجُلانِ، وَعادَتْ زَمزمُ المُقدَّسَةُ تَحِملُ الخَيرَ العَظيمَ، وَتُذِيعُ الفَيضَ العَمِيمَ، تَمهيدًا لِعهدِ النّبيِّ الكَرِيم، عليهِ أفْضَلُ الصَّلاَةِ وَأمْثَلُ

(١) كانت قريش تدعو عبد المطلب شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له، وكانت تدعوه مطعم طير السماء لأنه كان يرفع مائدته للطير والوحش في رؤوس الجبال، وهو ممّن حرموا الخمر في الجاهلية، فلم يشربها ولم يسقها أحدًا من أهله، وقد طهر مكة من سفاح الجاهلية. وتؤثر عنه سنن جاء القرآن الكريم بأكثرها: منها الوفاء بالنذر، والنهي عن زواج المحارم، وقطع يد السارق والسارقة، والنهي عن قتل الموءودة، ودية الحر بمائة ناقة.

التَّسلِيمِ، كمَا حَملتْهُ في العَهدِ القَدِيمِ، لإِسمَاعِيلَ بنِ إبراهِيم.

خلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَرِيم، وانْصُرِ اللّهمَّ دِينَهُ القَوِيم، وبَلِّغْهُ عنَّا أفضلَ الصَّلاةِ وَأمثلَ التَّسلِيم.

سَمَوْتَ مَنَازِلًا وَكَرُمْتَ آلَا .. وَطِبْتَ عَشِيرةً وَأبًا وَخَالَا
كَوَاكِبُ تَملأُ الدُّنيَا جَمَالَا .. وَغَرْسُ حِمًى تَأثَّلَ وَاستَطَالَا
هُمُ سَنُّوا العُلَى للعَالمينَا .. وَهُمْ شَرَعُوا النَّدَى وَالحِلمَ دِينَا
وَهُمْ رَفَعُوا اللّواءَ مُظَفَّرِينَا .. وَهُمْ كَانوا المَنَاهِلَ والظِّلالَا

وَهُمْ وَسِعُوا الحَجِيجَ قِرًى وَرِيًّا .. وَهُمْ نَشَروا الكَمالَ سَنًا وَرَيَّا
وَهُمْ بَسطُوا الكَلاَمَ هُدًى وَوَحْيًا .. وَهُم بَذَلُوا نُفُوسَهُمُ نَوالَا

قُصَيٌّ جَمّعَ المُتبَدِّدِينَا .. وَعَبْدُ مَنافَ سَادَهُم أَمِينَا
وَهَاشِمُ عَمَّهُمْ بِالزَّادِ حِينَا .. وَشَيْبَةُ فَرَّقَ المِحَنَ الثِّقَالَا

مَناقِبُ يَنْجَلِي عَنْهَا الظَّلاَمُ .. وَيَسْرِي فِي مَطَالِعِهَا الكِرَامُ
وَيَستَهْدِي بِسُنَّتِهَا الأَنَامُ .. وَإِنْ عَزَّتْ مَنَازِلُهَا مَنَالاَ

نَمَاهُمْ لِلعُلَى بَدْرًا فَبَدْرَا .. عَقَائِلُ أُمَّةٍ كَالحُور طُهْرا
عَوَاتِكُ كَالنُّجُومِ بَدَوْنَ زُهْرَا .. عَدَاهُنَّ الهَوَى أَصْلًا وَحَالاَ

أُصُولٌ مِن جِنانِ الخُلْدِ تُنْمَى .. وَأَرْحَامٌ مِن الآثَامِ تُحْمَى
رَسُولَ اللهِ طِبتَ أبًا وأمًّا .. تَبارَكَ مَن أَتمَّ لكَ الكَمالاَ

عبد الله بن عبد المطلب

وَهُو ثَمرَةُ الشَّرفِ الجَليلِ، وَنَبْعَةُ البَيتِ الطَّليلِ، وَدَارةُ المَجد الأَثيلِ، وَمَعْقِدُ الكَرَمِ النَّبيلِ، الّذي تَوارَثَهُ الغُرُّ البَهَاليلُ، مِن أَبناءِ إسمَاعيلَ، جِيلًا بعدَ جِيل، وَقبيلًا بَعدَ قَبيل. وَلا بِدْعَ فَهو الّذي آثرَهُ الله بِسيّدِ الأبْنَاءِ، وَفَخرِ الأَنبيَاءِ، وَأكْرَمِ وَلدِ آدمَ وَحَوَّاء. وَكَانَ عبدُ الله مِن أَجمَلِ قُريشٍ وَجهًا وَأرقِّهِمْ طَبعًا، وَأصْفَاهُمْ نَبْعًا، وَأكْرمِهم خِلالًا، وَأشْرَفِهم مِثالًا، وَكَان مَوْضَعِ الحُبِّ وَالرّعَايةِ وَالتّكْريمِ مِن أَبيهِ السَّيِّدِ الحَكِيمِ. وَلمَّا بَلغَ مَبلغَ الشَّبابِ أرادَ أَبُوه أنْ يُتوّجَه بِتاجٍ مِن الزّواج الكَريمِ، وكانَ في بَني زُهَرةَ مِن قُريشٍ عَقيلتَانِ نَبيلتَانِ، وَسَريّتَانِ سَنِيَّتَانِ، هُمَا آمِنَةُ بِنتُ وَهبٍ، وَهالَة بِنتُ وُهَيْبِ، فَذهبَ وَمعهُ ابنُه إلى دارِ وُهَيْبِ بِنِ عبدِ مَنافٍ، وهُو وَليّ الفَتاتيْنِ، فَخطبَ هَالةَ لِنفْسِهِ، وَخطَبَ آمِنَةَ لابْنِهِ، وَتزوَّجَ

الوَلَدُ وَالوَالِدُ، في مَجلسٍ وَاحدٍ، وتَمَّ الزَّواجُ بِالصَّدَاقِ، وَأُكِّدَ بِالشُّهودِ(١)، وذَلِكَ سِرُّ قَولِ سَيِّدِ البَرِيَّةِ: «بُرِئْتُ مِن سِفَاح الجَاهِلِيّةِ»(٢). وكانَ عبدُ الله في الثَّالثةِ والعَشْرينَ، وَآمِنةُ في تمَامِ العِشْرِينَ. فَأَكْرِمْ بِهِ مِن زَوَاجٍ أَنجبَ سَيّدَ المُرسَلينَ.

خَلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَرِيم، وانْصُرِ اللّهمَّ دِينَهُ القَويم، وَبَلِّغْهُ عنَّا أفضلَ الصَّلاةِ وَأمثَلَ التَّسلِيم.

نَسَبٌ كَأوضَاحِ الصَّبَاحِ .. جَمَعَ السَّمَاحَةَ والسَّمَاحْ
فيهِ الهُدَى والطُّهر وَالـ .. إيمانُ مُكتَمِلُ النَّوَاحْ
لَم يَبتَدِر إثمٌ إليْـ .. ـهِ ولَم يُلِمَّ بهِ سِفَاحْ
أثْنَى عليه اللهُ في .. عُلْيَاهُ بِالكَلِم الفِصَاحْ

(١) انظر: الروض الأنف، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، (٨٩/٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) يشير إلى قول سيدنا رسول الله صَلّى الله عليهِ وآله وَسَلّم: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي , لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»، وقد أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٨٠/٥/ح٤٧٢٨، والآجري في الشريعة ١٤١٧/٣/ح٩٥٧. وانظر: البدر المنير لابن الملقن ٦٧٣/٧.

فـي السَّـاجِدينَ القانتيـنَ .. وَفـي المَيَامِيـنِ الصِّبَـاحْ
عُقِـدَتْ بِآمِنَـةٍ وَعبْـدِ اللـه .. أَسـبَـابُ الصَّـــلاحْ
شَـمْسٌ تَصَافَـتْ في سَـماءِ .. النُّبْـلِ بِالقَمَـرِ اللّيَـاحْ
فَرعَـانِ مِـن دَوْحٍ أفَـاءَ .. عَلـى الرَّوابِـي والبِطَـاحْ
تَمَّـتْ مَحَاسِـنُهُ بِأفْـ .. ـضِـلِ مَـن سَـرَى وَغـدا وَرَاحْ

أمّهات النبيّ

هَـؤلَاءِ آبـاءُ النّبـيّ قَـدْ مَلَكُـوا مَعَاقِـدَ الشَّـرفِ العَريـقِ، والمَجْدِ العَتِيقِ، وَلـمْ تَقْصُر أُمَّهَاتُـه عَـن آبائِـهِ فـي كَـرمِ العِرْقِ، وَشَـرفِ العِتْقِ، وَعِزِّ العَشِـيرةِ، وَطُهرِ السَّـريرَةِ، وَقدْ بَاهَى الرَّسُولُ الأمِيـن، بأمَّهاتِـهِ فـي الغَابِريـنَ.

وَقَدِ امتَازَ بَنو هَاشِمٍ بِمزِيّةٍ زَادَتْهُم قُوّةً وَفُتوّةً، ونَجابَةً وَمَهابَةً، فَهُم لا يَقِفُونَ في الاختِيَار عِندَ بَناتِ القَرابَةِ، بَلْ كَانوا يُصاهِرون أعزَّ القَبائِلَ، في أكرمِ العَقَائِلِ، وَذلِكَ سِرُّ مَا أُوتيَتْ سُلالَتُهُمْ مِنْ حَيَاةٍ وَحَيَاءٍ وَسَنَاءٍ وَسَخَاءٍ، وَإباءٍ وَمَضَاءٍ، وَفَصَاحةٍ وَذَكَاءٍ، وَإذَا كَانَ لِكُلِّ قَبيلةٍ فَضِيلة مَأثُورَةٌ، وَنَقِيبَةٌ مَشهُورةٌ، فَهُم وَلَا شَكَّ مُلتَقَى تِلك الشَّمَائِلِ، وَمُرتَقَى تِلكَ الفَضَائلِ، وَلا بِدْعَ أَنْ يَكُونَ مُحمَّدٌ رَسُولُ الله بَدْرَ هَذِه الهَالَاتِ، وَصَدْرَ تِلكَ السُّلالَاتِ، وَمعقِدَ تِلكَ الكَمَالاتِ، عليهِ أفضَلُ الصَّلواتِ وأكمَلُ التَّحيّاتِ.

خَلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَرِيم، وانْصُر اللّهمَّ دِينَهُ القَوِيم، وَبَلِّغْهُ عنَّا أفضلَ الصَّلاةِ وَأمثلَ التَّسلِيم.

قِفْ دُونَ خِدرِ المُكرَمَاتِ مُثُولاَ .. وَانْثُرْ عليهِ سَلاَمَكَ المَوْصُولاَ
وَأَطِلْ بمَغْنَاهُ الوُقُوفَ فَإنَّه .. بَيتٌ أظَلَّ بِظلِّهِ جِبْرِيلاَ
دَارُ الشَّرِيفَاتِ النَّجيبَاتِ الأُلَى .. طَهَّرنَ أدْرَانَ العُصُورِ الأُولى
الطَّيِّبَاتِ مَغَارِسًا وَمَجَانِيًا .. الصَّافِيَاتِ مَعَادِنًا وَأُصُولاَ
المُشْرِقَاتِ مَظَاهِرًا وَمَعَانيًا .. الطَّاهِراتِ سَرائِرًا وَذُيُولاَ
المُرسِلاَتِ عَلى البَرِيَّةِ سِيرةً .. كَالرّوضِ نَفحًا والنَّسِيم قَبولاَ
أَنْشأنَ مِن غُرَرِ الخِلالِ صَحَائِفًا .. وَعَقَدْنَ مِنْ نُخَبِ الكَمَالِ فُصُولاَ
وَصَدَرنَ عَن خيرِ البُطُونِ سَمَاحةً .. وَصَبَاحَةً وَفَصَاحَةً وَعُقُولاَ
وَوَلَدنَ نَشأً هَاشِميًّا ضَاحِيًا .. كَالسَّيفِ وَضَّاحِ الحِلى مَصْقُولاَ
مِن كُلِّ أبْلَج إنْ أُهيبَ بَعزْمِه .. أَحيَا الرَّجَاءَ وَحَقَّقَ المَأمُولاَ
غُضَّ الجُفُونَ فَذلِك البَيتُ الّذي .. وَسَمَ اللّيَالِيَ غُرّةً وَحُجُولاَ
نَشَأ الرَّسُولُ بِهِ وشَبَّ بِظلِّهِ .. للّه أَحَمدُ نَاشِئًا وَرسُولاَ

عبد الله وآمنة

كانَ بنـاءُ عبـدِ اللـه بِآمِنـةَ فـي دَارِ آبَائِهَـا الكِـرَام، وَإذَا بَنـى العَرَبـيّ بِامْرأتِـهِ فـي دَارَ أَبِيهَـا لَزِمَـهُ المُقَـامُ ثَلاثـةَ أيَّـامٍ، وَقَـدْ بَـثَّ اللـه فـي نَفْـسِ الزَّوجَيـنِ الكَريميـنِ رُوحَ الأُلْفَـةِ والصَّفَـاءِ، وَنشـرَ عَليْهِمَـا رِوَاقَ الرَّحمَـةِ والوفَـاءِ، وكانَ عَبدُ المُطّلبِ يُؤثرهُمَا بِحبِّهِ وَرعايتـه، علـى أعـزّ النَّـاسِ مِـن بنيـهِ وقَرابتِـهِ.

وَلمَّـا أَرادَ اللـه أنْ يُتـمَّ نُـورَه فـي الأرجَـاءِ، وَأنْ يُذيـعَ رَحمتَـهُ فـي الأرضِ والسَّـمَاءِ، حَمَلتْ فَخرُ النِّساءِ بَسيّدِ الأنبياء، وَأقَامَتْ آمنةُ شَطرًا مِـن حَمْلهَـا، وَهـي لا تَعلـمُ شَيئًا مِـن أمْرِهَـا؛ لأنّهـا لَـم تَجِـدْ ألمًـا، ولَا وَحمًـا، ولَا شـيئًا غيـر مَألـوفٍ.

وَلمَّـا مَضـى عَلـى الحَمـلِ الشّـريفِ أربعـةَ أشـهرٍ، خَـرجَ عَبـدُ اللـه مِـنَ البَلـدِ الحَـرام، فـي تِجَـارةٍ إلـى الشَّـامِ، فلمَّـا فَـرَغَ مِـن تِجَارتِـهِ انصـرف عائـدًا إلـى وَطنِـهِ فـي فِتيـةٍ مِـنْ رِفقتِـهِ، وَبينَمَـا هُـم فـي طِريقِهـم أصَـابَ الـدَّاءُ عَبدَ الله، وَمرَّ بِالمدَينـةِ وَهُـوَ يُعَانـي حُمَّـاهُ،

فَمَالَ إِلى أَخْوَالِهِ مِن بَنِي النَّجَّار[1]، وَهُنَالكَ لَبثَ شَهرًا كَاملًا يُغَالبُ الدَّاءَ، وَيُعَالجُ البَلَاء، حَتّى نَفذَ فيهِ سَهْمُ القَضَاءِ، فَلمَّا نُعِيَ إِلى أَبيهِ انْفَطرَ قَلبُه حُزْنًا عَليْهِ[2].

وانفَرَدَتْ آمِنَةَ بِنفْسِهَا تَبْكي الخَدِينَ الصَّفيَّ، وتَنْدُبُ الأَمِينَ الوَفيَّ، وَتَركَ عَبْدُ الله ذَوْدًا مِنَ الإِبلِ، وَقَطِيعًا مِنَ الغَنمِ، وَجَاريةً تُدْعَى أمُّ أيمَن، وَهَذا الّذِي تَركَهُ عبْدُ الله مِن دُنياه، وَرِثَهُ عَنْهُ رَسُولُ الله.

خَلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَرِيم، وانْصُرِ اللّهمَّ دِينَهُ القَويم، وَبَلِّغْهُ عنَّا أفضلَ الصَّلاةِ وأمثلَ التَّسليم.

---

(١) كانَ بَنو النَّجارِ أخوالاً لعبدِ المُطلبِ بن هَاشِم، لأنَّ أُمَّه سَلمى ابنَةَ عمرو بن زيد مِنْ شَرِيفَاتِهم، وكان هاشمُ قد تَزوجَ بِهَا في أُخريَاتِ حَياتِهِ، ثُمَّ استبقَاها بِالمدينةِ، وانصَرفَ إِلى غَزةَ فمَاتَ بِهَا.

(٢) ذكر الصالحي أوجه الخلاف في تاريخ وفاة سيدنا عبد الله، انظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: عادل عبد الموجود، و علي معوض،(١/٣٣١)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

ذكرى الدّيار

يَـا خَلِيليَّ بِالصَّفَـا وَالمُصَـلَّى .. هَـا هُوَ الصُّبْحُ في البِقَـاع تَجلَّى
فَانْشُدا القَلبَ في الحِمَى أيْنَ حَلّا .. ضَـلَّ عَنِّي وَمَا غَـوَى حِينَ ضَلَّا
وَدَنَا مِن حِمَاكُمَا وَتَدَلّى

شَفَّـه الحُـبُّ وَالحَبِيـبُ فَثَـارَا .. وَ سَـرى الرَّكْبُ بِـالعَشيّ فَطَارَا
صَـارَ نُـورًا وَكَانَ بِالحُـبِّ نَـارَا .. نِعْمَ دَارُ الحَـبيبِ يَـا قيسُ دَارَا
وَبقاعُ الحَبيبِ روضًا وَظِلَّا

زَمـزمُ وِردُه وفيهـا هَــوَاهُ .. وَمنىً قَصــدُهُ وَفيهَـا مُنَـاهُ
وَسَنَـا البَيْتِ وَحيُــهُ وَهُـدَاهُ .. هَــذِهِ دُورُهُــم وَفِيهَـا جَنَـاهُ
قُدِّستْ أَربُعًا وَجَلّتْ مَحَلّا

يَـا مُـرَاحَ البُـرَاقِ أَنْتَ مُرَاحِـي .. يَـا صَـلَاحَ العِبَـادِ أَنـتَ صَلَاحِي
يَا صَبَـاحَ الحَياةِ طَابَ صَبَاحِي .. وَمَسَـائي عَلـى رُبَـاكَ الصَّبـاحِ
حِينَ يُجْلَى الكِتَابُ فِيكَ وَيُتلَى

مَهْبَطَ الـوَحيِ أنْتَ مَهبِطُ قَلْبِي .. وَحِمَى الله أَنْتَ مَوْطِـنُ حُبّي
يَا دِيَارَ الحَبيبِ، وَالدَّارُ تُنْبِي .. حَـدِّثِيني عَـنِ النَّبـيِّ وَنَبِّـي
عَنْ إِمَامِ الأَنَامِ فَرْعًا وَأَصْلَا

سَيِّـدِ المُرسَلينَ خَـيرِ الأَنَامِ .. مُنقِـذِ الخَلقِ مِن هَوىً وَانْقِسامِ
نَـاشِرِ النُّـورِ في فُرُوعِ الظَّلامِ .. يَـا نبـيّ السَّـلامِ هَـذا سَـلامي
مُشْرِقِ العُودِ كَالرَّبِيعِ المُحلّى

ليلة الميلاد

أَرأيتَ إلى النُّورِ القُدسيّ كَيفَ يَخترِقُ الطِّبَاقَ، وَيَنتظِمُ الآفَاقَ، وَإِلى الكَمَالِ العُلويّ كيفَ يَجتمعُ في رِوَاقٍ، وَيَلتقي في نِطَاقٍ، وَإلى رَايَةِ الحَقِّ كَيفَ تَصُولُ، وَإلى دَوْلَةِ الظُّلِم كيفَ تَدولُ. وَإلى مِلّةِ الإثْم كيفَ تَزوُلُ. وكلّ ذَلِكَ قَد قَضَى بِهِ الله في أَسعَدِ لحظَاتِ القَبُولِ.

هَذِهِ اللّحظَةِ الّتي وَزَنتِ الدُّهُور، وَرجَحَت العُصُور هِي الّتي أَشْرَقَ فيهَا نُور سيّد المرسلين، ومنقِذِ العَالمِينَ، مُحمّدٍ النّبيّ الأَمِينِ.

سُبحَانَكَ اللّهُمَّ يَا بَاسطَ النِّعمِ، عَلى الأُمِمِ، لقَدْ أَنْعَمتَ وَأَفضَلتَ، وَأحسَنْتَ وَأجمَلْتَ، وكَانَ أعظَمَ إنعَامِكَ وإِفضَالِكَ، وَأجْمَلَ إِحسَانِكَ وَإجْمَالِكَ، مَا تَجلّيتَ بهِ عَلى

الأَنَامِ فِـي فَجـرِ يَـومِ الاثْنَيـنِ لتسعٍ خَلـونَ مِـن ربيـعٍ الأوّلِ بعـدَ مِيـلَادِ المَسِـيح عَليْـهِ السَّـلَام، بِإحْـدَى وَسَـبْعين وَخَمْسـمِائةِ عَـامٍ[1].

وَكَانـتْ نِعْمَتُـكَ فِـي هَـذِهِ اللّحظَـةِ الفَاضِلةِ الفَاضِلَةِ، سَابِغَةً عَلـى العِبَـادِ والبِـلادِ، لَـمْ تَخُـصَّ بِهـا قومًـا دُونَ قَـومٍ، وَلَـمْ تُؤثِـر بِهَـا يومًـا دُونَ يَـومٍ، بَـل شَـمِلتْ بِهـا السَّـنيَّ والدَّنِـيَّ، وَحَفَفـتَ بِهَـا الفَقِيـرَ وَالغَنـيَّ، وَأغْدَقتَهَـا عَلـى الأَبيضِ وَالأسْـمَرِ، وَأسْـبَغْتَها عَلـى الأَصْفَـرِ والأَحْمَـرِ، وَأسْـبَلتَها عَلـى الخَلْـقِ أَجْمَعِيـنَ إِلـى يَـومِ الدِّيـنِ.

لقَـدْ أذِنـتَ للعَالَـمِ فِـي هَـذِه اللّحظَـةِ الزَّهْـرَاءِ أنْ يَسـتَنيرَ بَعْـدَ الضَّلالـةِ، وَأنْ يَهتـدِيَ بَعـدَ الجَهَالـةِ، وَأنْ يَتحَـابَّ بَعْـدَ العُـدوانِ، وَأنْ يَتَآخَـى بَعـدَ الطُّغيانِ، وَأنْ يَطْهُـرَ بعـدَ المَآثِـم، وأنْ

(١) اختلف في ليلة الميلاد بين ثمان واثني عشر من ربيع الأول، ولكن الذي حققه العالم محمود باشا الفلكي أن المولد كان في فجر اليوم التاسع من هذا الشهر «٢٠ أبريل سنة ٥٧١ ميلادية».

يَعْدِلَ بَعد المَظَالِمِ، وأنْ يعبدَ الله، لا يُشْركْ بِهِ سِوَاه، وبِهذا التَّوحيدِ وحَّدَ حُقُوقَ الإنْسَانِ في كُلِّ مَكانٍ.

وَكانَ بَدء مَخَاضِ آمنةَ المَصُونةَ المَأمُونةَ حِينَ ابْتَسمَ السَّحرُ مِن ليلةِ الاثْنَينِ، وَكانَ المَخَاضُ على مَا عَوَّدَها الله مِنَ التّيسيرِ هَيّنًا ليّنًا لا يَحتَاجُ إلى مؤونةٍ أو مَعُونةٍ، إلَّا رَعايةَ الله الّتي أحَاطتْ بَهَا في سَاعَاتِهَا كُلِّها، فَمَا أَسْفَر الفَجْرُ حَتّى اسْتَهَلَّ نُورُ بَدْرِ الوُجُودِ، وَسيّدِ كُلِّ مَولودٍ.

وَلقدْ جَمَّلهُ الله وَطَهَّرهُ، وَكمَّله فِيمَا صَوَّرهُ، فَأخْرَجهُ طَيّبًا طَهُورًا، مَخْتُونًا مَسْرُورًا، يَسطَعُ النُّورُ المَلكيُّ مِنْ وَجْهِهِ الزَّكيِّ، وَحِينَ أَشْرَقَ نُورهُ العَمِيم أَرْسَلَتْ آمِنةُ إلى جَدِّهِ الكَريمِ، فَجَاءهُ البَشيرُ وَهُو في حِجْرِ البيتِ العَظِيمِ، فلمَّا وَافتْهُ البُشْرَى تَهلّلَ وَجْههُ بِالبشرِ، وسَارَ هُو وَمنْ مَعهُ مِن رِجالِ بَيتِهِ، وَأشْرَافِ قَومهِ إلى دَارِ آمِنةَ، فلمَّا اجْتَلَى نُورَ النَّبيِّ السَّاطِع حَمِدَ الله وَكَبَّرهُ، وَحملَ الوَلِيدَ وَقبَّلَهُ، وَألهَمَهُ

اللـه فَسـمَّاهُ مُحمَّـدًا، وَقـالَ: سَـيكُونُ لِابْنـي هـذَا شـأنٌ عَظِيـمٌ، ثُـمَّ قَصـدَ بـهِ والنَّـاسُ مِـن حَولِـهِ إِلـى الكَعْبَـة المُطَهَّـرة، فَطـاف بهـا، وَهـو يَقـولُ(١):

الحَمـدُ للّه الّذِي أَعْطَـاني .. هَـذَا الغُـلامَ الطَّيِّبَ الأَرْدَانِ

قَدْسَادَفي المَهْدِعَلى الغِلمَانِ .. أُعِيـذُهُ بِـالبيْتِ ذِي الأَرْكَـانِ

حَتَّـى أَرَاهُ بَالِـغَ البُنيَـانِ .. أُعِيـذُهُ مِـنْ شَرِّ ذِي شَنَـآنِ

مِنْ حَاسدٍ مُضْطَرِبِ العِنَانِ

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ١/١١١.

ذكرى المولد

أَفِضْ مِن خَاطِرِي وَامْلأ عَيَانِي .. وَروِّ النّفسَ مِن ريَّا المَغَانـي
وُخُذْ فـي ذِكـر مَكَّـةَ إنَّ فِيهَـا .. هَـوَى الآمَالِ أَجْمَعَ وَالأَمَانِي
وَحـيِّ القِــبْلَةَ الزَّهَــراءَ فِيهَـا .. وَصِفْ في ظِلِّهَا نَفْحَ الجِنَانِ
وَإنْ تَـردِ المَقَـامَ فَلِـي إليـهِ .. تَحِيّـةُ وَالِـهٍ ظَمْــآنَ عَــانِ
مَنَازِلُ بِالحِجَازِ سَمَتْ إِلَيْهَا .. مُنَى نَفْسِي وَخَفَّ لهَا عِنَانِي
مَوَاطِنُ مِن رَسُولِ الله جَلّت .. عَنِ اللَّفظِ المُدَبَّجِ وَالمَعَانِي
مُرَاحُ عَشِيرَتِي، وَحِمَى ثِقَاتِي .. وَوَحْيُ سَرِيرَتِي وَهَوَى جَنَانِي
وَرَوْضُ قَرِيحَتِي، وَنَـدَى بَيَانِي .. وَنـوُرُ بَصِيرَتِـي وَهُدَى بَنَانِي
دَعَـتْ فَأجَابهـا كَبِـدي وَقَلْبِـي .. وَلَبَّـى مَسْمَـعِي والنَّاظِـرانِ
وَحَنَّتْ أَدْمُعي وَحنتْ ضُلُوعي .. فَيَـا لِـيَ مِنْ حَنِينٍ أَو حَنَانِ
تَـرَى الرُّوحَ الأَمِينَ بِحُجْرَتَيهَا .. يُرَدّدُ في الدُّجَى السَّبْعَ المَثَانِي
وَتَسمَعُ لِلمَلائِكِ فـي رُبَاهَـا .. مُنَـاقَــلَةً كَأوْتَــارِ المَثَــانِي
وَيُطْرِبُ قَلبَـكَ الحَنَّانَ فِيهَـا .. بِـلَالُ الخَيْـرِ يَهتِـفُ بِـالأَذَانِ
وَتَسـمَعُ قَـارِئَ القُــرآنِ يتْلـو .. حَدِيثَ الله عَنْ تِلكَ المَغَانِي

سَلِ البَيْتَ المُبَارَكَ هَلْ تَسَامَى .. لِمولِدِ أحْمَدَ الرُّكنُ اليَمَانِي
وَهَلْ خَفَّ الحَطِيمُ لَهُ ورَفَّتْ .. ظِلَالُ الحِجْرِ والشُّعَبُ الحَوَانِي
وَهَلْ حَيَّتْهُ زَمْزَمُ وَالمُصَلَّى .. وَحيَّاهُ الصَّفَا وَالمَرْوتَانِ
وَهَلْ حُشِدَتْ لَهُ الأمْلاكُ رَكْبًا .. وَغَنَّى بِالكتَابِ الحَادِيَانِ
وَهَلْ نَعِمَتْ بِمقدَمِهِ البَرَايَا .. وَأَشْرَقَ بِاسِمِهِ وَجْهُ الزَّمَانِ

أَلَا لله يَومٌ سَوَّمَتهُ .. يَدُ الرَّحمنِ بِالنّعمِ الحِسَانِ
وَلحظَةُ سَاعَةٍ سَبَقتْ فَجلّى .. وَصَلَّى فِي هُدَاهَا كُلُّ آنٍ
رَسُولَ الله: مَعذِرةً إِذَا مَا .. عَجَزتُ وَقصَّرتْ مِنّي اليَدَانِ

أُحَاوِلُ مِن مَديحِكَ سَامِقاتٍ .. فَيعْجَزُ مَنطِقِي عُظمُ المَكَانِ
وَكُلُّ فتًى يُحَاوِلُ مِنكَ وَصفًا .. يُعَانِي مِن سُمُوّك مَا يُعَانِي
سَلَامُ اللهِ مِنْ فَلذَاتِ قَلبٍ .. بِحُبِّكَ خَافِقِ الفَلذَاتِ حَانِ

الرضاع

كَانَ شَرِيفَاتُ مَكَّةَ لَا يُرْضِعنَ أَولَادَهُنَّ، بَلْ يُسلِمنَهُم إِلى المَرَاضِع مِن نَساءِ البَادِيةِ، وَإِنَّما آثَرْنَ هَؤلاءِ؛ لأنّهنَّ أسْلَمُ أَجْسَامًا، وَأرْجَحُ أحْلامًا، وَأفْصَحُ كَلامًا، وَأطبَعُ للطِّفْلِ عَلى النَّفسِ الأبيّةِ، والشَّمَائِلِ العَربيّةِ، وكانَ مَرَاضِعُ البَادِيةِ يَفِدْن جَمَاعاتٍ، يَلتمسْنَ أبناءَ السَّاداتِ.

وَبعْدَ أيّامٍ مِن مَولِده الشَّرِيفِ، وَفَدَ إِلى مَكّةَ وَفْدُ المَرَاضِعِ مِن بَني سَعْدِ بْنِ بَكرٍ[1]، وَبنُو سَعدٍ مِنْ أَفصحِ العَربِ وَأصْرَحِهَا، وَأصفاهَا وَأوْضَحِهَا، وَقُريشٌ تَعدُّ هَذا الحَيَّ مِن أَصلَحِ المَعَاهِدِ لتقْويمِ الأبْدَانِ، وَريَاضَةِ الأذْهَانِ، وَقدْ آثَرَ اللهُ بِسيّدِ الكَائناتِ إِحْدَى هَؤلَاءِ الوافِدَاتِ، وَهِي حَلِيمةُ بِنتُ أبي ذُؤيبٍ السَّعْديّة. وَكَانتْ حَليمةُ في جَهْدٍ شَديدٍ،

(١) وقبل أن تفد المراضع إلى مكة أرضعت محمدًا صلّى الله عليهِ وآله وَسَلّم مولاة لأبي لهب تدعى ثويبة، وأرضعت معه عمه حمزة بن عبد المطلب.

ذَهبَ بالطّارفِ وَالتَّليدِ، وَكانَ ثَدْيُهَا يابسًا مِن الجُوعِ، وَكانَ وَلدُهَا قَليلَ الهجُوعِ، غَزيرَ الدُّمُوعِ، مَا في ثَدْيِهَا مَا يُغنِيه، وَما في نَاقَتِهَا مَا يُرْوِيهِ.

فَلمّا رأَتْ وَجْهَ رَسُولِ الله وَأقبَلت عَليهِ تُرضِعُه دَرَّ ثَدْيُهَا غَدَقًا بِإذنِ الله، حتَّى أشبعه وَرَوَّاهُ، ثُمَّ أشبعَ أَخَاهُ وَرَوَّاه. وَذَهبَتْ حَلِيمَةُ بِالوليدِ الأكْرَمِ، صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ، إلى حَيِّهَا المَجْهُودِ وَمَالِهَا المَكْدُودِ، فمَا لَبِثَتْ أن عَمَّ في مَالِهَا الوَفْر، وَنَما في عَيشِهَا اليُسْر، وَشَاعَ في حَالِهَا الخَيْر، وَبَلغَ رَسُولُ الله فِطَامَهُ في عَامينِ كَامِلينَ، كان في خِلالِهِمَا يَملأُ العُيونَ نُمُوًّا وسُمُوًّا، حتّى كَانَ في تَمَامِهِمَا غُلامًا فَارعَ الجِسمِ مَلِيءِ التّكْوينِ، وَكأنّهُ مَضتْ عَليهِ أربَعُ سِنينَ.

وَلمَّا رَأتْ حَليمَةُ مَا رَأتْ مِن خَيرِ النّبيِّ وبَركتِهِ، وَيُمنِهِ وَكرامَتِه، استَأذَنتْ أمَّه في مَدِّ حَضَانتِهِ، وَكانَ في مَكّةَ وَبَاءٌ شَديدُ البَلاءِ، فَأذِنتَ لهَا بهِ.

وَأقَامَ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ في البَاديةِ السَّعديّةِ خَمسَ سِنينَ، زَارَ أمَّهُ في خِلالِهَا مَرّتَيْن[1].

خَلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَريم، وانْصُر اللّهمَّ دِينَهُ القَويم، وَبَلِّغْهُ عنَّا أفضلَ الصَّلاةِ وَأمثلَ التَّسليم.

حَيُّوا رَبيبَ العُلَا .. والكَوْكَبَ المُجْتَلى
هَادِي الهُدَاةِ الأُلَى .. صَاغُوا المَعَالي حِلَى

سَنَاهُ عَمَّ الأنَامْ .. وَبثَّ فيهِ السَّلامْ
وَصَدَّ عَنهُ الظَّلامْ .. والظُّلْمُ عنهُ انْجَلى

رَضِيعُ سَعدِ السُّعودْ .. رَضِيعُ حِلمٍ وَجُودْ
قَدْ شَامَ منهُ الوُجُودْ .. رَبيعَهُ المُقْبِلا

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ص١٥٩. وقيل: ابن أربع سنين.

بَدَت بــــهِ البَادِيَــةْ .. كَالــــدُّرَّة الغَــالِيَةْ
والرَّوضَــــةِ الحَالِيَــةْ .. أَحْيَــا شَـذَاهَا الفَلَا

السَّــيِّـــدَ الأرْفَعَــا .. والأيِّـــدَ الأَرْوَعَــا
وَالمَعْقِـــلَ الأمْنَعَــا .. أَكْــرِم بِهِ مَعْقِــلَا

كَفَالةُ آمنة

ولمّا عَادَ سَيّدُ الوُجُودِ إلى مَكّةَ المُطَهّرةِ، أقامَ في كَفالةِ أُمِّهِ، وَقدْ حَاطَتْهُ بِمَا شَاءَ الله مِن حُبٍّ وَرحْمَةٍ، وَأدبٍ وَحِكْمَةٍ، وَرِعَايةٍ شَامِلةٍ، وَفَضِيلةٍ كَامِلةٍ، حَتّى إذا بَلغَ السَّادِسةَ خَرَجتْ بِهِ إلى المَدينَةِ لِتَزوُرَ قَبْرَ أَبيهِ الكَرِيمِ، فَتلقّاهُمَا أَخْوَالَهُ بِأبْلَغِ حَفَاوةٍ، وَأمْثَلِ تَكرِيمٍ.

وَأقَامَ الضَّيفَانِ شَهرًا كَاملًا تَعلَّمَ فيِهِ الرَّسُولُ السِّبَاحَةَ في مَاءِ بَني النَّجّارِ، وَأَتْقَنَ الرِّمَايةَ فَوقَ آطَامِ الأَنْصَارِ، ثُمَّ انْصَرفَتْ بِهِ عَائِدةً إلى وَطَنِهِ حتّى إِذَا كَانَتْ بِالأَبْوَاءِ[1]، أَدْرَكتْهَا رَحمَةُ الله فَدُفِنَتْ هُنَاكَ، وَنُقِلَ النّبيُّ الكَريم إِلى كَفَالةِ جَدِّه الحَكِيمِ.

(١) الأبواء، محلة على مدى خمسة وعشرين ميلاً من المدينة.

كَفَالةُ عَبدِ المُطلب

وَكَانَ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ في كَفَالةِ جَدِّه الزَّعيمِ الحَكَيمِ أحبّ النَّاسِ إلى قَلْبه، وَأعَزَّهم عَلى نَفسِهِ، حَتّى لَقَدْ أَرْبَى عِندَه عَلى جَمِيعِ وَلَدِه، وكانَ عَبْدُ المُطّلبِ لا يأكلُ طَعامًا إلَّا قَالَ: عَليَّ بِابْني فَيُؤتَى بهِ إليهِ، وكانَ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ يَدْخُلُ عَليه إذَا انْفَردَ، أو تَعبَّدَ، أو توسَّدَ، فَلا يَحجُبُه عنهُ أحَدٌ، وَكانَ يُبسَطُ لِعبْدِ المُطَّلبِ فِراشٌ في ظِلِّ الكَعبَةِ، فَيجْلِسُ عليهِ في هَالَةٍ مِن بَنيهِ وَحَفدَتِه، وَسَادَاتِ أُسرَتهِ وَعشِيرتِهِ، وكانَ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ يأتي وَهُو طِفلٌ يَدْرُجُ، فَيَجْلسُ على الفِرَاشِ قَبلَ قُدومِ جَدِّه، فَيثنيهِ أعْمَامُه عَنهُ، فَيَبْكي حتَّى يَرُدُّوه إليهِ. فَطَلعَ عبدُ المُطّلب يومًا، وَقدْ أزَالُوا مُحمَّدًا عَنِ الفِراشِ، فقَالَ: «رُدُّوا ابْني إلى

مَجْلِسهِ فَإنَّه يُحدِّثُ نَفسَه بِمُلكٍ عَظيمٍ»[1].

وَتُوفِّي عَبد المُطَّلبِ وَللنَّبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام، ثَمانِيةُ أَعْوامٍ، وَأَوْصَى بهِ قَبْلَ مَوتِه إلى عَمِّه أَبي طَالِبٍ وَهُو مِن بَعْدِ وَالِده سَيِّدُ البَطْحَاءِ، وَإمامُ الحُكَماءِ.

وَلقَدْ حَلّ مُحمَّدٌ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ مِن عمِّهِ في الصَّميمِ مِن قلبهِ، واسْتَأثر بِالمَكِينِ مِن حُبِّهِ، فَكانَ لا يَأكُلُ إلَّا مَعهُ، ولا يَنام إلَّا إلى جَنْبه، وَهذا الحُبُّ الّذي أوْدَعه الله قُلوبِ الكُفَلاءِ، مِن آياتِ كَرامَةِ الله لِسيّدِ الأَنبياءِ.

خَلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَريم، وانْصُر اللّهمَّ دِينَهُ القَويم، وَبَلِّغْهُ عنَّا أفضلَ الصَّلاةِ وَأمثلَ التَّسلِيم.

(١) انظر: المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، محمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين بن حديدة، تحقيق: محمد عظيم الدين، (١٨٢/٢)،الناشر: عالم الكتب - بيروت.

يتيمٌ بَـراه اللـه مِـنْ نَفحَاتِـهِ .. وَرَحْمَتِــهِ إنَّ الــكَمَالَ يَتِيم
تَنقَّلَ في الأُفِق الكَرِيمِ مَنازِلَا .. فَلَـمْ يرعَـــهُ إلَّا أغَـرُّ كَريـمُ
تَوَلّتْـهُ أُمٌّ كَالمَلائِـكَ فِطْـرَةً .. وَجَـدٌّ بِآفَـاقِ الكَمَال عَلِـيمُ
وَأعْقَبَـه شَـيْخُ الأبَاطِـح عَمُّـه .. زَعِيمٌ تَسَامَى في خُطَاه زَعِيمُ
هُمْ كُفَلاءُ الخَيرِ واللهُ فَوقَهُم .. كَفِيـلٌ رَءوُفٌ بِالنَّبـيِّ رَحيـمُ
تَـوَلّاهُ بِالتَّربِيبِ طِفلًا وَحَاطَه .. وَعِقْدُ الصِّبَا بَاهِي الجَمَالِ نَظِيمُ
فَكَانَ لَـه مِنهُ جَلَالٌ وَحِكمَةٌ .. وَخُلـقٌ، كَمَا قَالَ الإلَـهُ عَظِيمُ
تَبَارِكَ مَـن أَولَاهُ أَشرفَ غَايـةٍ .. فَليسَ له في العَـالَمِينَ قَسِيمُ

مَخايلُ النّبوة فِي الطّفُولة

لقَد كَانَ كُلّ شَيء مِن سِمَاتِ مُحمّدٍ وصِفَاتِه، وَحَركَاتِه وَسَكنَاتِهِ، ونُطقِهِ وَصَمتِهِ، وَشكْلِه وَسَمْتِهِ، يُنْبِئُ أنَّ هَذا النَّاشِئَ الكَريمَ، لَمْ يُخْلَق إلّا لأمرٍ عَظِيمٍ، وكانَ يَتوسّمه ذوو الألباب، وأقطاب أهل الكتاب فيعلمون أنّه نبيّ آخر الزّمان، وأنّ نوره سيعمّ كلّ إنسان في كلّ مكان.

ووَكَانَ عَلى ربِّ البَريّةِ، أنْ يَتعَاهدَ هَذهِ النَّفسَ الزَّكيّةَ بِالتّربيةِ الإلهيِّةِ، فَوقَ ما هَيَّأ لهَا مِن وسَائلِ الفَضائل الكَسبيَّةِ: لِيتخَلَّقَ بِأخَلاقِ الله، وَلِينْشَأ على أَدبِه وَهُدَاهِ، وَخَليقٌ بِمنْ خَلقَهُ الله لِيؤدّي عنه أشرفَ الأَمَاناتِ، وَليشْرَع للنَّاسِ أكمَل الكَمالاتِ، أنْ يَكونَ اللهُ مُؤدّبَهُ وَراعِيهُ، وَكَافِلَهُ وَكَافِيَهُ، وَلقَدْ حَدَّثَ رَسُولُ الله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ عَن بعضِ تَأديبِ الله لَهُ، فَقالَ: « لقَدْ رَأيتُنِي في غِلمَانِ قُريشٍ نَنقُلُ حِجَارةً لبِعضِ مَا يَلعَبُ

بِهِ الغُلمَان، كُلّنَا قدْ تعرّى وَأخَذَ إزارَه على رَقبتِهِ يَحمِلُ عليهِ الحِجَارةَ، فإنّي لَأُقْبِلُ كَذلكَ وَأُدْبِرُ إذْ لكَمَني لَاكِمٌ مَا أَرَاهُ لَكْمَةً وَجِيعةً، ثُمَّ قَال: شُدَّ عليكَ إزارَكَ! فَأخَذْتُه وَشَدَدْتُه عليَّ»[١].

وَعلى هَذَا السَّنَنِ مِنْ تَأدِيبِ الله، سَارَ رَسُولُ الله في صِبَاهُ، فَكَانَ أكْمَلَ الصِّبْيَانِ، كمَا كانَ أفْضَلَ الفِتْيَانِ.

وَفي عَهْدِ شَبَابهِ صلّى الله عليهِ وآله وَسلّم، بَلغَ الذُّروة الشَّمَّاءَ، والغَايَةَ العَصْمَاءَ، مِن كمَالَ النَّفسِ والعَقْلِ والرّوحِ والبَدَنِ، فكانَ أكمَلَ النَّاسِ رُجُولةً، كمَا كانَ أَطْهَرَهُمْ طُفولَةً، وليسَ أدلَّ عَلى تَفَرُّدِه بِالكمَالِ المَكينِ، مِن إجْمَاعِ قومِهِ عَلى تَسمِيتِهِ بالأمِينِ. وَهُو لَقَبٌ ألبَسُوهُ أَوضَاحَهُ وَحِلاَهُ، وَلَمْ يَمنَحُوهُ أحدًا سِوَاهُ.

وَلمَّا بَلغَ الخَامِسَةَ وَالعِشْرينَ، أَرْسَلتْ إليهِ خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلدٍ، وَكَانتْ مِن أكرَمِ عَقائِلِ قُريشٍ وَأشْرَفِهنِّ حسبًا، وَأكمَلهنَّ أدبًا ـ تَقُولُ لَهُ:

---

(١) انظر: سير ابن هشام (١/١٨٣).

«يَا ابْنَ عَمِّ! إنّي قَد رَغِبتُ فِيكَ لقَرابَتِكَ وَأمَانَتِكَ وَحُسنِ خُلقِكَ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ»[1]، ثُمَّ عَرضَتْ عليهِ الزَّواجَ فَارتَضاهُ، وَمَا رُئِيَ زَوجَان كانَا أكرمَ مِثَالًا، وَأكمَلَ كَمَالًا، وَأصْدَقَ وَلاءً، وَأوْثَقَ وَفاءً، مِن مُحمَّدٍ سَيِّدِ المُرْسَلينَ، وَخَدِيجَةَ أُمِّ المُؤمِنينَ.

وَحِينَ بَلغَ الرَّسُولُ الأَمِينُ الخَامِسَةَ وَالثَّلاثِينَ اشْتَركَ هُو وأَشَرافُ قُرَيشٍ في بِنَاء الكَعْبَة الزَّهراءِ، وكَانَ قَد طَغَى عَليهَا السَّيْل فَصَدَّعَ جُدْرَانَهَا، وَضَعْضَعَ أَركَانَهَا، حَتّى إِذَا بَلغُوا مَوضِعَ الحَجَر اخْتَلفُوا أيُّهمْ يرفَعُه وَاشتَدَّ الخِلَافُ وَاحْتَدمَ، حَتّى هَمُّوا بِأنْ يَحُلُّوهُ بِالسّيفِ وَالدَّمِ، ثُمَّ اتَّفقُوا عَلى تَحكِيمِ أوّلِ قَادمٍ، فَمَا لَبثوا أنْ أهلَّ عَليهِمْ سَيِّدُ الأَنَام، عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، فَلمَّا رَأوْهُ قَالوا: هَذا مُحمَّدٌ، هَذا الأَمِينُ، رَضِينَا بِهِ، وَعَرضُوا عليهِ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ خِلافَهُم، فَقَالَ: هَلُمَّ

---

(١) انظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، (١/٢٠٠)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية - ١٤٢٧هـ

ثَوبًا فَأتي بِه، فَأخَذ الحَجرَ فوضَعهُ فيهِ، ثُمّ قَال: «لِتَأخُذ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوبِ، ثُمّ ارْفَعُوهُ جميعًا»، فَفعَلوا حَتّى إذا بَلغُوا بهِ مَوضِعَه وَضعَهُ هُو بيدِه[1]. وَبِذلكَ حَقن الله بهِ الدِّماءَ، وَأحَلَّ الأُلْفَةَ والصَّفَاءَ مَحلَّ الفُرقَةِ والعِدَاءِ، وهَذَا هُو شِعَارُ سَيّدِ الأنبياءِ.

خَلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَريم، وانْصُر اللّهمَّ دِينَهُ القَوِيم، وَبَلِّغْهُ عنّا أفضلَ الصَّلاةِ وَأمثلَ التَّسليم.

(١) أخرج هذه القصة: أبو نعيم في دلائل النبوة ح١١٣، وانظر: السير والمغازي=سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، (ص ١٠٨) الناشر: دار الفكر - بيروت، ط: الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

قَصُرَتْ عَنْ صِفَاتِكَ الأسْمَاءُ .. وَتَنَاهَى إِلَى سَنَاكَ السَّنَاءُ[1]

وَتَجَلَّتْ عَنْ نُورِكَ الظَّلْمَاءُ .. يَا نَبِيَّ الأنَامِ أنْتَ الرَّجَاءُ

كُلُّ مَجْدٍ إِلَى عُلاكَ هَبَاءُ

قَدْ بَلَغْتَ المَدَى وَلِيدًا وَطِفْلَا .. وَشَرَعْتَ النَّدَى شَبابًا وَكَهْلَا

وَوَسِعْتَ العِدَى سَلامًا وَنُبْلَا .. وَبَسطْتَ الهُدَى عَلى النَّاسِ ظِلَّا

فَاسْتَضَاءوا بِنورِهِ وَاسْتَفَاءوُا

ظَهرتْ فِيكَ نَاشِئًا وَغُلامًا .. شِيَمٌ فَذَّةٌ بَهرنَ الأنَامَا

شَاهِدَاتٌ بِغايَةٍ لَنْ تُسَامَى .. مُنبِئَاتٌ بِمُرتَقًى لَنْ يُرامَا

نَاطِقَاتٌ عمَّا أبَانَ حِرَاءُ

قَدْ نَظَمتَ المَنَاقِبَ الزُّهرَ نَظمًا .. وَأَقَمْتَ المَكَارِمَ الغُرّ شُمًّا

وَوسِعتَ الحَيَاةَ عِلمًا وَحِلمًا .. وَدَعَاكَ الأَمِينَ قومُكَ لَمَّا

وَقَفَتْ دُونَ قَدْرِكَ الأُمَنَاءُ

---

(١) السنى (بالقصر) الضوء، والسناء (بالمد) الرفعة والسمو.

وَرَأى النَّاسُ كَيفَ صُنْتَ السَّلامَا .. حِينَ جَدُّوا حَولَ المَقَامِ خِصامَا

وَأثَاروا بِالرُّكْنِ خَطْبًا عُقَامَا .. ثُمَّ هَمُّوا يُحكِّمُونَ الحُسَامَا

فَتَجلّتْ بِحُكْمِكَ الأَرْزَاءُ

صُورَةٌ مِن مَنَاقِبٍ وَسَجَايَا .. وَكِتَابٌ حَوى الفَضَائل آيَا

إِنَّما أَنْتَ عَالَمٌ مِن مَزَايَا .. وَأمَانٌ وَرحمَةٌ لِلبَرَايَا

وَسَلامٌ وَنِعْمَةٌ وَضِيَاءُ

الرّسَالَــــة

الآنَ وقدْ بَلغَ النّبيُّ الأمِينُ، تَمامَ الأرْبَعينَ، فَقدِ اصْطفَاهُ الله لِهدَايةِ العَالمِينَ، وآثَرَهُ بِإذَاعةِ الحَقِّ المُبينِ، في النَّاسِ أجْمَعينَ.

وَأوّلُ مَا كَانَ مِن لَوائحِ النُّبوَّة أنَّ الله أَمدَّ سَيّدَ الأنَامِ، بِصدقِ الخَاطرِ والحِسِّ والإلهامِ، في اليَقظَةِ والمَنَامِ، فكَانَ لا يَشعُرُ بِشيءٍ مِن خَاطِرٍ أَوْ وِجْدَانٍ، إلَّا أسفرَ عَنهُ العَيانُ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤيَا إلّا جَاءتْ مِثلَ أَوْضَاحِ الصَّباحِ، وَحُبِّبَ إليهِ الانْفِرادُ عَنِ العِبادِ، وَكانَ يَتردَّدُ عَلى غَارِ حِرَاء، فَيقطَعُ رَمضَانَ كُلَّه بِالسُّجُودِ والهُجُود، حَتّى إِذَا انْتَهى قَصدَ إِلى البيتِ الحَرام، ثُمّ غَدا إِلى دَارِه مَحفُوفًا بِرعَايةِ الله وَجَميلِ رِضَاهُ. ولَمَّا كَانَ رَمضَانُ الّذي أَرادَ الله فيهِ مَا أرادَ، مِن إِسعَادِ العِبَادِ، ذَهبَ

إِلى حِرَاء، وَبينَمَا هُو في إِحْدَى لَياليهِ[١]، جَاءَهُ جِبريلُ عَلى مِثَالٍ لَمْ يَألفْهُ في حِقيقةٍ أوْ خَيالٍ، فقَالَ للرّسولِ: اقْرَأ! قَالَ مَا أنَا بِقَارئ، فَغطَّهُ حَتّى ظنَّهُ المَوتُ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأ! فقَالَ مَا أنَا بِقَارِئ، فَغطَّهُ ثَانِيةً، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأ، فقَالَ مَا أنَا بِقَارِئ، فقَال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥]، ثُمَّ انْصرفَ عَنهُ، وكأنَّمَا خطَّ اللهُ في صَدْرِ الرَّسُولِ كتابًا مِمَّا قرأ، ونَهضَ رَسُولُ الله مُتَّجِهًا إلى دَارِه، فَبينَمَا هُو سَائِر سَمِعَ مِن وَراءِ الأُفُقِ صَوتًا يَترَدَّدُ في السَّمَاءِ، فَنظَرَ فَرأى خَلقًا عظيمًا يَقُولُ لَه: يَا مُحمَّد أنْتَ رَسُولُ الله، وَأنَا جِبريلُ، فَكَانَ كُلّمَا حَوَّلَ وَجْهَهُ عَنهُ رَآه حَيُثَ تَحوَّلَ، حتّى انصَرفَ عَنهُ، فَانْصرفَ النَّبيُّ الكَريمُ إِلى دَارِهِ، وَحدَّثَ خَديجَةَ حَديثَ مَا رَأى، فَقَالتْ: أَبشرْ يَا ابْنَ

(١)كان نزول الوحي على رسول الله صَلّى الله عليهِ وآله وَسَلّم يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان، وفي مثل هذا اليوم بعد اثنتى عشرة سنة كانت موقعة بدر، وإلى هذا يشير الكتاب الكريم بقوله تباركت حكمته ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الفرقان:٤١]ويوم الفرقان هو يوم الرسالة، ويوم التقاء الجمعين هو يوم بدر.

عَمِّ واثبُتْ، إنَّكَ تَحمِلُ الكَلَّ، وَتكسِبُ المَعدُومَ، وَتُعينُ على نوائبِ الدَّهرِ، فَأبْشِرْ يا ابْنَ عَمِّ فإنِّي لأَرْجُو أنْ تَكُونَ نبيَّ هذهِ الأُمَّة.(١)

تِلكَ هِي رِسَالَةُ الله ربِّ العَالِمينَ، أَنْزَلَها عَلى سَيِّدِ المُرسَلِينَ، وخَاتَم النَّبيّينَ، وَصَفْوَةِ الله مِنَ الخَلقِ أَجْمَعينَ.

خَلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَريم، وانْصُر اللّهمَّ دِينَهُ القَويم، وَبَلِّغْهُ عنَّا أفضلَ الصَّلاةِ وَأمثلَ التَّسليم.

(١) أخرج القصة بهذا السياق: البيهقي في دلائل النبوة ١٤٦/٢، وأصلها في البخاري: ح٣، دون قول السيدة خديجة رضي الله عنها: فأبشر يا ابن عم إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

مُحمّد في المُرسَلين

* **مُحمَّـدٌ:!** وَأيُّ نِطـاقٍ مِـن القَـولِ يُحيـطُ بِهـذَا الاسْـمِ الكَريـمِ، وَيَرْتَقـي إِلـى هَـذَا الخُلُـقِ العَظيـمِ، وَيشِـفُّ عَـن تِلـكَ النَّفسِ المُصفَّاةِ المُصطَفاهْ، وَيكشِـفُ عَـن تِلـكَ السَّـجَايَا التي أَبْدَعَهَـا اللـه.

* **مُحمَّـدٌ:!** هَـذا هُـو القَبسُ الإلهيُّ الّـذي تَجلّـى بِـهِ اللـه عَلى العَالَمِيـنَ، فَأنَـارَ الوُجُـودَ مِـن ظُلمـةِ الظُّلـم، وَطهَّـره مِـن لَوثَـةِ الإثـمِ، وأنْقَـذَه مِـن الفتـنِ الغَاشِـيةِ، وَأنْجَـاهُ مِـنَ المِحـنِ العَاشِـيةِ، وألَّـفَ بـهِ بيـنَ القُلـوبِ النَـابيـةِ، وقَـرَّبَ بـهِ بَيـنَ الشُّـعوبِ النَـائِيـةِ.

* **مُحمَّـدٌ:!** هُـو مَصـدَرُ ذَلـكَ الصَّـوتِ النَّـدِى القُدْسـي الّـذي دَوى مِـن جَـوفِ الصَّـحَراءِ، بَـأنْ لاَ إِلـه إلَّا الله، فَمَـا لَبـثَ أنْ انْتَظـم الأرجَـاءِ، واقتَحَـمَ الأجْـوَاءَ، وَزَلـزلَ الجِبَـالَ الرَّاسِـيةَ، وَضَعْضَـعَ

الحُصُـونَ العَاتِيـةَ، وَطَـوىَ فـي قُوتِـهِ القَاهِـرةِ، عُـروشَ القَيَاصِـرةِ وَالأكَاسِـرةِ، وَحطَّـمَ بِشـدتِهِ القَاسِـرَةِ، رُءوسَ العُتَـاةِ والجَبَابِـرَةِ.

مُحمَّـدٌ:! هُـو ثَمـرَةُ الفِـدَاءِ، وآيـةُ البَقَـاءِ بِالفَنَـاءِ، الّـذي جَعـلَ رُوحَـهُ وَنَفْسَـهُ، وَمَعْنَـاهُ وَحِسَّـهُ، وَمَشَـاعِرَهُ وَخَـواطِـرَه وَبَـواطِنَـهُ وَظَوَاهِـرَه، للـه وَحْـدَهُ، ليـسَ لَـهُ مِنهَـا نَصيبٌ، لَا يُبَالِـي بِالخَطْـبِ إِذَا طَمـىَ، وَلا يَكتَـرِثُ بِالكَـربِ إِذَا هَمَـى، مَـا دَامَ ذَلـكَ للـه وَفـي اللـه، وَمَـا دَام مُتَّصـلًا بِسـببٍ مِـن رِضَـاه.

وَهُـو الّـذي احْتمَـلَ مِـن قَومِـهِ فـي سَـبيلِ دَعوتِـهِ أشـدَّ مَـا يَلقَـاهُ الإنْسَـانُ، مِـنْ ضُـروبِ البُهْتَـانِ، وَألـوَانِ الهَـوانِ حَتـى أَغْـرَوْا بِـهِ السُّـفَهَاءِ والصِّبْيَـانِ، فَحصَبُـوهُ بِالمَـدَارِ، وَقَذفُـوهُ بِالحجَـرِ، والجَئـوهُ عَلـى الاعتِصَـامِ، بِالشِّعَـابِ وَالآكَـامِ، حتـى اهتـزَّ العَـرشُ ورَجَفـتِ السَّـمَاءِ، وسُـئلَ أنْ يَدعُـو اللـهَ بِمَـا شَـاءَ، فقَـالَ: اللهُـمَّ اغفِـرْ لقَومِـي فَإنّهـم لَا يَعْلمُـونَ.

مُحمَّـدٌ:! هُـو رَمـزُ التَّضحيـةِ العُظمَـى الّـذي كَانَ يَجُـوعُ لِيشـبَعَ النَّـاسُ، وَيحتَمِـلُ الضُـرَّ والابتِئَـاسِ، لِينعَـمَ النَّـاسُ، ويقـدِّمَ فـي التَّشـريعِ أهْلَـه الأقْرَبيـنَ ليَطمِئـنَ النَّاسَ، هُـو الّـذي نَـامَ جَائعًـا ونَـام أهْـلُ بيتِـهِ جِياعًـا فـي اليَـومِ الـذي أعْطَـى فيـهِ مِـن مَغَانـم حُنيـنٍ مِائـةَ نَاقـةٍ لِـكلِّ شَـريفٍ مِـن أَشْـرَافِ العَـربِ، وأعْطَـى فَـوقَ ذَلِـكَ مَـا أعْطَـى مِـن العَبيـدِ والجَـواري، والخَيـلِ المُسـوَّمِة، والنَّعـم المُقوَّمَـةِ، والذَّهـبِ الوفيـرِ، والخَيـرِ الكَثيـرِ، ومـعَ ذَلِـكَ كُلّـه لا يَسـوقُ إلـى بيتِـهِ شَـاةً أو جـزءًا مـن شـاةٍ أو كَفًّـا مِـن شَـعِير، ثُـم يَأبَـى عَلـى ابْنتِـهِ الزَّهَـراءِ وَهِـي أعـزُّ النَّـاسِ عليـهِ، وَأحبُهـم إليـهِ، جَاريـةً تَحتَمِـل دُونَهَـا نَصيبًـا مِـنَ العَنَـاءِ؛ لأنّـه خَـرجَ عَـن نَصيبـهِ كُلّـه للمُنقَطِعيـنَ مِـنَ الفُقَـراء.

فَهَـلْ رَأيـتَ غَايـاتٍ فـي التَّضحيَـةِ أسْـمَى وأبْلَـغَ مِـن هَـذِه الغَايَـةِ التـي يُضَحِّـي فيهَـا الرَّجُـلُ بِروحِـهِ وَنَفْسِـهِ، وَمَالِـهِ وَجُهـدِهِ، وقَرَابتِـهِ وأحبَّتِـه، وَبِضْعَتِـهِ ومُهْجَتِـهِ، وَهُـو مُطْمئـن بهـذِهِ التضحِيـة

قَريرٌ بها؛ لأنّه أفنَى نَفسَه في الله، ومحَا ذاتَهُ في ذَاتِ الله، فأصْبحَ لا يَشعُرُ بِالألَمِ إلَّا في الله، ولا يشعُرُ بالنَّعيمِ إلَّا في الله.

لقدَ كَانَ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ أعظَمَ النَّاس قلبًا وأصْفَاهُم نَفسًا، وَأطهَرَهم سَريرَةً، وَأضوَأهُم بَصِيرةً، وَأسمَحَهم وَجْهًا، وَأليَنَهُم جَنْبًا، وآلفَهُم لِكُلِّ إنْسَانٍ.

ووَكانَ وهُوَ الأَبيُّ الذي تَعنُو لهيبتِهِ الأَهْوالُ، والقَوِيُّ الّذي تَذِل لقوتِهِ الأبْطَالُ، يُواصِلُ المُنْقَطعينَ وُيُجالِسُ المسَاكينَ، وَيقُولُ: اللهُمَّ أَحْيِني مِسكِينًا وَأمِتْنِى مِسكِينًا، واحْشُرنِي في زُمَرةِ المَسَاكِين.

وكَانَ أرَقَّ مِنَ النَّفحَةِ العَاطِرةِ، وأحْيَا مِنَ العَذْرَاءِ الخَادِرَةِ، إلَّا إذَا انتُهِكَ حَدٌّ مِن حُدودِ الله فَيكُونُ كالأسَدِ الهَصُورِ، والسَّيفِ المَشهُورِ، ولقَدْ سَرقَتِ امْرَأةٌ مِن قُرَيشٍ

فَوجَبَ عَليْهَا الحَدُّ فأهَمَّ ذَلِكَ قريشًا، وَهَابتْ أنْ تُكلِّم في العَفْو رَسُولَ الله، وَقَالوا: مَن يُكلّمُهُ إلَّا أُسَامَةُ بن زَيدٍ، حِبُّ رَسُولِ الله، فلمَّا كَلّمَه اشْتدَّ غَضبُهُ وَقَالَ: أتُكلّمُني في حَدٍّ مِن حُدودِ الله! ثُمَّ جَمعَ النَّاسَ، فَقَال: «إنَّما أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُم أنَّهم كَانُوا إِذَا سَرقَ الشَّرِيفُ تركُوهُ، وَإِذَا سَرقَ الضَّعيفُ أقَامُوا عليه الحَدَّ، وَالّذي نَفْسِي بيدِهِ لَو فَاطِمَةُ بِنتُ مُحمّدٍ سَرقتْ لقَطَع مُحمَّدٌ يَدَهَا»(١).

وكانَ صلّى الله عليهِ وآله وَسلَّم أطهَرَ النَّاسِ لسانًا، وأشْرَفَهُم بيانًا، مَا عَابَ إنْسَانًا ولا سَبَّ إنْسَانًا، وكانَ يَقولُ إنَّ المُؤمنَ لا يَكُونُ فَحَّاشًا ولا سَبَّابًا ولا عَيَّابًا وَلا طَعّانًا ولا لعَّانًا.

وكانَ أثْبتَ النَّاسِ قَلبًا، وأصْبَحَهُمْ وجْهًا حِينَ تَطيشُ الأحْلَامُ، وتَضِلُّ الأَفْهَامُ، وَتُزلْزَلُ الأقْدَامُ، وَمِنْ قَولِ عَليٍّ بْنِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ح٦٧٨٨، ومسلم ٩(١٦٨٨).

أبـي طَالـبٍ سَـيدِ أبْطَـالِ الإسْـلَامِ: «كُنَّـا إذَا اشْـتَدَّ الـروعُ لُذْنَـا بِرسُـولِ اللـه عليـهِ الصَّـلاةُ والسَّـلامُ»[1].

وَكَانَ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ في بيتِهِ وبينَ أهْلِه مَظْهَرَ الرَّحمَةِ الشَّامِلةِ، وَمَصْدَرَ المَودَّةِ الكَامِلةِ، وَعُنوانَ العِشْرَةِ الفَاضِلَةِ، وكانَ لنِسَائِهِ المَثلَ الأعْلَى للمُعَلِمِ الحَكِيمِ، والعَشْيرَ الرَّحِيمَ، والألِيفَ الكَريمَ، وكانَ يُدْخِلُ السُّرورَ عَليْهِنَّ، وَيَشْرَكُهُنَّ في مِهْنَتِهِنَّ، وَكانَ أبرَّ النَّاسِ بِالخَدَمِ، وَأعْطَفَهُم عَليْهِمْ، مَا ضَربَ قَطُّ خادمًا ولا عنَّفَه، ولا حَمَّلَه مَا لا يُطِيقُ، وكَانَ يَقولُ في الخَدَمِ: «إنَّهم إخْوانُكُم جَعلَ اللهُ لَكُم الوَلَايةَ عَلَيْهِمْ، فَمنَ كَانَ عِنْدَه خَادِمٌ فَليُطْعِمهُ مِمَّا يَأكُلُ، وَليُلبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ.

وَآخِرُ كَلِمةٍ قَالَهَا صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ وَهُو يَجُودُ بنفْسِهِ: الصَّلاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أيْمَانُكُم.

(١) أخرج أحمد في مسنده ح١٣٤٧، والحاكم في المستدرك ح٢٦٣٣ عن سيدنا علي كرم الله وجهه: «كنا إذا احمَرَّ البَأسُ، ولقي القومُ القومَ، اتقينا برسول الله صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه».

هَذا هُو مُحَمَّدٌ النَّبي الكَريمِ، الّذي أثْنَى عليهِ الله في كِتَابهِ الحَكِيم، فقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

خَلِّدِ اللّهمَّ ذِكْرَهُ الكَريم، وانْصُر اللّهمَّ دِينَهُ القَويم، وَبَلِّغْهُ عنَّا أفضلَ الصَّلاةِ وَأمثلَ التَّسلِيم.

محمد صلى الله عليه وسلم

مَحا نُورُكَ الظُّلمَ وَالظَّالِمينْ .. وَألقَى الأمَانَ عَلى العَالِمينْ
وَضَمَّ بِكَ الله شَمَل الشُّعوبِ .. وَكَانَتْ ذَبائحَ أوْ ذَابِحينْ
وَآخَتْ يَمينُكَ بَينَ الأنَامِ .. وَكَانوا عَبِيدًا وَمُسْتَعْبَدِينْ
وَلَانَتْ لِدينِكَ صُمّ القُلُوبِ .. وَكَانَتْ تَدِينُ بِأنْ لاَ تَلِينْ
تَدَارَكْتَهَا مِن هَوَانِ الهَوى .. وَرِقُّ الهَوَى مُستَبد مُهينْ
وَكَانَ الضَّلالُ وَكَانَ الوَبَال .. وَكَانَ الخَبَالُ عَلى الكَافِرينْ
هُمُ عَبَدُوا النَّار ذَاتَ الوَقُود .. وَهُمْ عَبدوا الجِنَّ في الغَابِرينْ
وَهُمْ عَبَدُوا الكَوْكَبَ المُسْتَبينْ .. وَمَا رَابَهُمْ غَيْبَةُ الآفِلينْ
وَهُمْ عَبدوا صَنمًا لَا يبِينْ .. وَخرّوا لَه رُكعًا سَاجِدينْ
فَأرْجَعَهم مِلَّةً سَمْحَةً .. إلى الله في حُكْمِه مُسلمِينْ
وَكَانَ الطَبِيبَ لِدَاءِ البَرَايَا .. وَكَانَ الرَّفِيقَ بِهم أَجْمَعينْ
وَكَانَتْ أسِنَّتُهُ مِبضَعًا .. يَسُلُّ بِه كُلَّ دَاءٍ دَفينْ
إذَا فَسدَ العُضْوُ في أَصْلِه .. فَأوْلَى العِلَاج لَه أنْ يَبِينْ
فَيَا بَاسِطَ الأَمْنِ فَوقَ الوَرَى .. ويَا مُرْسِلَ النُّورِ نُورِ اليَقينْ
وَيَا فَارِجَ الكَرْبِ عَنْ أَهْلِهِ .. وَيَا نَاشِرَ العِلْمِ في الجَاهِلِينْ
طَلعْتَ عَلينَا بِنوُرِ الهُدَى .. فَبُورِكْتَ يَا سَيّدَ المُرسَلين

صفة النّبيّ

لَقَدْ جَمَّلَ الله نَبيَّهُ بِالجَمَالِ الجُثْمَانِيّ، كمَا كَمَّلهُ بِالكَمَالِ النَّفْسَانِيّ، فَكَانَ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ يَمْلأُ العُيُونَ جَمالًا، كَمَا كانَ يَمْلأُ القُلوبَ كَمالًا، كُلُّ ذَلِكَ إلى صَفَاءِ النَّفْسِ، وَوضُوحِ الرُّوحِ، وَحُسْنِ المَنْطِقِ، وَرِقَّةِ الحَديثِ، مِمَّا يَمْلِكُ الطّبعَ النَّافِرَ، وَيُهذِّبُ الرُّوحَ الثَّائرَ، وَيُحيلُ شَراسَةَ النَّفسِ الهَوجَاءِ، إلى رِقَّةٍ وَصَفاءٍ.

كَانَ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ بَادِيَ الرَّوْعَة، ضَاحِي الطَّلعَة، في وَجْهِهِ صَفَاءٌ وَزُهْرَة[1] وفي خَدِّه بَياضٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرَة، وَاسعَ العَيْنينِ، أَسوَدَ الحَدَقَتينِ، أَكْحَل الجَفْنَيْنِ، غَزيرَ الأَهْدَابِ، في طُولٍ وَاسْتِوَاء، مَقْرونَ الحَاجِبينِ في دِقَّةٍ وَانْحِنَاءِ، أَسْوَدَ الشّعرِ في انْصِقَال، طَوِيلَ العُنُقِ في جَمَال، مَهيبَ الصَّمتِ، رَخِيمَ

(١) الزهرة، الحسن والصفاء.

الصَّوْتِ، حَدِيثُهُ فَصْلٌ، لَا نَزْرَ، وَلا هَذْ، رَبْعَة، لا تَشْنَؤُه[1] مِن طُولٍ، وَلا تَقْتَحِمُهُ العَينُ مِن قِصَر، إذا تَقدَّم انْدَفَع إلى الأمَامِ، كَأنَّمَا يَهْبِطُ مِن مُنحَدَرٍ، له عَرْفٌ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ الذَّكيّ، وَأروَحَ مِن الزَّهْرِ النَّديّ، ضَحِكُه ابْتِسَام، بَينَ كَتفيهِ خَاتَمُ النُّبوةِ كَبَيْضِ الحَمَامِ، وَفي عَنفَقتِهِ شَعَراتٌ بِيضٌ لا تَكَادُ تَبين، لَم يَلدِ النِّسَاءُ مِثْلَهُ في النَّاسِ أَجْمَعينَ. صَلواتُ الله وَسَلامُه عَليهِ في الأوّلينَ وَالآخِرين.

أَخَذْتَ السَّبِيلَ عَلى الوَاصفين .. فَمَنَ ذَا يَقُولُ؟ وَمَن ذَا يَبِينْ؟
إذَا مَا تَبدَّيْتَ للنَّاظِرِينْ .. غَمَرتَهُم في سَنَاكَ المُبِينْ
وَ حَيّرتَ ألبَابَهُم أجْمَعِينْ

مِن أيِّ النَّوَاحِي يَفِيكَ المَقَالْ .. وَقَدْ جَمَعَ الله فِيكَ الكَمَالْ
وَألَّفَ فِيكَ فُنُونَ الجَمَالْ .. وَألْقَى عَلَيْكَ رِدَاءَ الحَلَالْ
وَصَاغَكَ مِنْ نُورِهِ المُسْتَبِينْ

(١) تشنوه. تبغضه.

مَلكْتَ المَحَاسِنَ مَعنًى وَحِسًّا .. وَفُقتَ المَلائِكَ رُوحًا وَنَفْسَا

وَرَقَّت حَواشِيكَ لُطْفًا وَأنْسَا .. وَحُزْتَ الكَمَالاتِ طُهرًا وَقُدْسَا

فَمَا فِيكَ (لَو كُنتَ) للقَائِلينْ

سَمَاحَةُ نَفسٍ كَروحِ الصَّبَا .. وَرِقّةُ طَبعٍ كَعهدِ الصِّبَا

وَحُسنُ بَيانٍ كَزَهْرِ الرُّبَى .. وَرَوْعَةُ خَلقٍ كَبيضِ الظَّبَا

فَمَنْ ذَا يُسَامِيكَ في العَالَمينْ

أثر الرّسالة المحمّدية

كَانَ النّاسُ قَبلَ البَعْثَةِ المُحمَّديةِ في جَحِيمٍ مُسْتَعرٍ مِن الفِتنِ والشَّهواتِ، وَالأحْقَادِ والثَارَاتِ، والحُروبِ والغَاراتِ، وَكَانوا في ظُلمَاتٍ بَعضُها فَوقَ بَعضٍ: يَسْجُدونَ للأوثَانِ، وَيُذْعِنونَ للشَّيطَانِ، وَيحْكُمُونَ بِالطُغْيَانِ، وَيتَعَاونُونَ عَلى الإِثْمِ وَالعُدْوانِ، فَلا رَحمةَ وَلا حَنَان، وَلا عَدْلَ وَلا إِحْسَان، وَلا أَمَانَ وَلا إِيمَان، وَلا تَناصُرَ وَلا تَناصُفَ، وَلا تَعاطُفَ وَلا تَآلُفَ، شِعَارُهُم المَآثِمُ والمَظَالِمُ، لا يَصْرفُهُم عَنْهَا عَقْل، وَلا يَعصِمُهمْ مِنها عِلْم، وَلا يَدْعُوهُمْ إلى نَبْذِهَا دِينٌ، وَلا كِتَابٌ مُبينٌ، وَكَانَ العَربُ في جَهَالةٍ وَضَلَالةٍ، يَعْبُدونَ الشَّجَر والحَجَر، والشَّمَسَ والقَمَر، والكَواكِبَ والنّيرانَ، والجِنَّ والشَيطَانَ.

وَكَانَتِ الحُروبُ الطَّاحِنةُ تَقُومُ بَينَهُمْ لِكَلمَةٍ وَاحِدةٍ، وَقَدْ تَدُومُ أَرْبَعينَ سَنةً، يَمُوتُ في خِلالِهَا الآبَاءُ وَالأبْنَاءُ، وَيكْتَوِي

بِنارِهَا الأعْدَاءُ وَالأوْلِيَاءُ، وَبعْدَ الحَربِ تُسْبَى النّسَاءُ، وَتُيتَّمُ الأبْنَاءُ وَتُدَمَّرُ الأحْيَاءُ، وتَمْتَلِئ القُلُوبُ بِالعَدَاوة والبَغْضَاء، فَهُمْ لَم يَزَالُوا مِن أَمْرِهِمْ بَيْنَ قَاهِرٍ وَمَقْهُورٍ، وَوَاتِرٍ وَمَوْتُورٍ.

كَانَ ذَلِكَ قَبلَ البَعْثَةِ النّبويَّةِ المُحمَّدِيةِ، فَلمَّا دَعَا الرَّسُولُ إلى ربِّهِ بَشيرًا وَنَذِيرًا جَمعَ النَّاسَ عَلى كَلِمَة وَاحِدَةٍ، وَألَّفَهُمْ تَحتَ رَايةٍ وَاحِدةٍ، وَوجَّهَهُم نَحو غَايةٍ وَاحِدَةٍ، وَسَاوَى بَينَهُم جَميعًا، فَلا فَقيرَ وَلا غَنِيَّ، وَلَا دَني ولَا سَنيَّ، وَلَا ضَعِيفَ وَلا قَويَّ كُلهم إِخوَةٌ، وَكُلُّهُمْ أُسوَةٌ، تَتَكافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذمَّتِهِم أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلى مَنْ سِوَاهُمْ.

وَلقَدْ أَفَاضَ الرَّسُولُ عَلى صَحابَتِهِ وَعِتْرَتِهِ فَيضًا مِنْ نَفسِهِ الزَّكِيَّةِ، وَأضَاءَ فِي صُدُورِهِم قَبَسًا مِنْ رُوحِهِ الرَّبَّانيةِ، فَطَلَعُوا عَلى العَالَم أقْمَارًا زَاهِرَةً، وَانْتَشَروا فيهِ أُسُودًا زَاخِرةً، وَضَربُوا أبْلَغَ الأمْثَالِ في التَّضْحيةِ وَالتَّفْدِيةِ، وَاعْتَصموا جَميعًا

بِحبْلِ الله لا يَعْدِلونَ بهِ سِواهُ، واقْتَدَوا بِرسُولِ الله في إيثارِ الغَرضِ الأَسْنَى عَلى العَرضِ الأدْنَى، وَبهذِهِ الأخْلاقِ العُلويَّةِ، وَتِلكَ النّفُوسِ الألمعيّةِ، سَارُوا في الغَرْبِ وَالشَّرقِ، يَحمِلونَ رَايَةَ العَدْلِ وَالحَقِّ، فَلمْ يَبْقَ قُطرٌ مِن أَقْطَارِ الأرضِ إلَّا دَانَتْ نَواصِيهِ، وَدنَتْ أَقاصِيهِ.

فَلمَّا فَتحُوا العَالمَ بَثّوا فيهِ الرَّحمَةَ الشَّامِلةَ، وَنَشَروا فيهِ المَدَنيةِ الفَاضِلَةَ، وَقَضَوا عَلى سُلطَانِ البَغي والطُغيَانِ، مِنْ كُلّ مَكانٍ.

والعِلمُ والإسْلَامُ أَخَوَان صَفيَّانِ، وأَلِيفَانِ لَزيمَانِ، فَأيْنمَا سَارَ الإسْلَامُ الصَّحِيحُ، سَارَ العِلمُ الصَّحيحُ، وَقَدْ أمرَ النَّبيُّ الأمِينُ جمَاعَةَ المُسلمِينَ، أَنْ يَتعلَّمُوا العِلمَ وَلو في الصّينِ، وَسَمِعَ العَالمَونَ قَولَ الله جَلَّتْ قُدرتُهُ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٩]. وَقولَهُ تَباركَتْ آياتُهُ:﴿ قُلِ

﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١]. وَقولهُ تَعالَتْ حِكمَتُه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]. وَكانَ مِن أثَرِ هَذه الآياتِ وَأشْبَاهِهَا أنْ تَوفَّر المُسلِمونَ عَلى العِلم دَرْسًا واطِّلاعًا، وابْتِداعًا واخْتِرَاعًا.

وَرَأسُ العِلْم في الدِّينِ القَويم، هُوَ الكِتابُ الحَكِيمُ، وَهُوَ مُعجِزَةُ المُعْجِزاتِ، وَشِرعَةُ الكَمالاتِ، وَأحفَلُ كُتُبِ اللهِ بالحِكمَةِ البيّنَةِ، والمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ، وَالعِلمِ المَكينِ، والمَنطِقِ المُبينِ، والتَّشريع المتِينِ، للنَّاسِ أجْمعينَ، وفي سَبيلِ البيَانِ بِمَقاصِد القُرآن، وُضِعَتِ العُلومُ الدِّينيةُ، واللّسَانيةُ، والكَونيةُ، ثُمَّ تُرْجِمَتْ عُلومُ المَدنيةِ العَالميَّةِ، وَمَا لَبثَتِ اللُّغَةُ العَربيّةُ أنْ أَصْبحتْ مَثابَةً جَامِعةً لعُلومِ اليُونَانِ والرُّومَانِ، وَفَارِسَ والهِندِ وَمِصْرَ والسُّريَانِ، وَكُلِّ أُمّةٍ تَضْربُ إلى المَدنيّةِ العِلميّةِ والأدبيّةِ والفَنيّةِ بِعرْقٍ قَدِيمٍ، وَتَنْزِعُ إليْهَا بَسَهْمٍ كَرِيمٍ.

ثُـمَّ مَـا لبِثَ المُسـلِمونَ أنْ نَاقَشُـوا هَـذِه العُلـومُ والآداب بِخاطِرٍ وَثَّاب، وَعقْلٍ غَيْر هَيّابٍ، وَجَرَّأتْهُم سَمَاحةُ دِينهم عَلى البَحْـثِ وَالاستِقصَاءِ، والتَجْدِيـدِ والبِنَـاء، وَبِذَلـكَ كُلِّـه أَصْبَحَ العَرَبُ وَاسِطَة العِقْدِ بَيـنَ حَضـارَة الأوَّليـنَ، وَحضَـارةِ الآخِرِيـن، وَعـن مُسْـلِمي مِصْـرَ والشَّـامِ وَالأنْدَلُـسِ انْتَقَلـتِ الحَضَـارةُ الإسْـلاميَّةُ، إلـى الأقْطَـارِ الأوُرِبّيَـة، فَأيْنَمَـا رَأيْـتَ الآنَ مِـن حَياةٍ رَخيّةٍ، وَعِلـمٍ وَمَدَنيّةٍ، وَعَـدْلٍ وَحُرّيـةٍ. فَهُـو أثَـرٌ مِـن آثَـارِ الرِّسَـالةِ المُحـمَّديّـةِ، وَسَـيَزدَادُ هَـذا الأثَـرُ قُـوّةً وَانْتِشَـارًا كُلَّمَـا سَـكنَتِ الأهَـواءُ مِـنَ النُّفُـوسِ، وَزَالـتِ الأوْهَـامُ مِـن الـرُّؤوسِ، وَكُلمَّـا نَظرَ النَّـاسُ إلـى مَـدَى مَـا بَيْـنَ أَدْيَانِهـمْ وَدِيـنِ الإسْـلاَمِ بِعَيْـنِ البَصِيـرةِ، ونُـورِ السَّـرِيرَةِ، فَـإنَّ الإسْـلاَمَ دِيـنُ الفِطْرَةِ السَّـلِيمَةِ، وَدَيـنُ الفِكْـرَةِ القَويـمَـةِ، وَديـنُ العَقْـلِ البَصيـرِ، وَديـنُ العِلْـمِ المُنِيـرِ، وَدِيـنُ التَّفكِيـرِ والتَّدبِيـرِ، وَكيـفَ لَا يَنْتَظِـمُ المَشَـارقَ والمَغَـارِبَ، وَهُـو

شِهَابُ الله الثَّاقِب، وَنُورُهُ المُتوهّجُ في الغَياهِبِ. ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٥-١٠٧].

الإسلام

سِرْ في بِقَاعِ العَالَمِينَ مَنَاهِلا .. وَانْشُر عَلى الآفَاقِ نُورَكَ كَامِلَا
وَجُز المَفَاوِزَ والذُّرَى حَتَّى يُرَى .. كُلُّ امرِئٍ مِن فَيضِ فَضلكَ نَاهِلَا
وَابْسُط عَلى الأَرْضِ السَّلامِ فَقَدْ غَدا .. رُكْنُ السَّلامِ بِكُلِّ وَادٍ مَائِلَا
مَا مِثلُ رَوضِكَ في الرِّيَاضِ مُنَسَّقًا .. طَلْقَ الرُّبَى، رَيَّان، مُجْتَمِعَ الحِلى
أَجْنَيتَ مِنهُ العَالَمِينَ فَضَائِلًا .. وَهُدىً وَعِلمًا قَيِّمًا وَشَمَائِلَا

وَأَذَقْتَهم ثَمرَ الإِخَاءِ مُهَذَّبًا .. حُلْوَ المَذَاقَةِ لِلبَرِيَّةِ شَامِلَا
وَمَدَدتَ ظِلَّكَ فَاسْتَرَاحَ بِفيئِهِ .. مَن كَانَ لِلحَقِّ المُقَدَّسِ ثَاكِلَا
وَدَعَوْتَ فَاسْتَبَقَتْ شُعُوبٌ جَمَّةٌ .. كَانَتْ تَجُرُّ مِنَ الحَدِيدِ سَلاَسِلَا
وَقَفَ الطُّغَاةُ وَعَارَضَتْكَ جُمُوعُهُم .. فَحَطَمْتَ أَسْوَارًا وَدُسْتَ مَعَاقِلَا
حُيِّيتَ يَا دِينَ السَّمَاحَةِ وَلتَسِرْ .. مَسْرَى الغَمَامِ عَلى الرِّيَاضِ ذَوَابِلَا
عَبِثَتْ بِمَعْنَاكَ الكَرِيمِ عَشَائِرٌ .. جَهِلتْ مَدَاكَ وَأَلحَقتْ بِكَ بَاطِلَا

ضَلَّتْ طَرِيقَكَ في الحَيَاةِ جَهَالَةً .. فتبدَّدَتْ في الأَرضِ خَلْقًا هَامِلَا

واليومَ أَنْشَقُ مِن عَبِيرِكَ نَفْحَةً .. تَدَعُ اليَبَابَ القَفْرَ رَوْضًا خَائِلَا

نَفَحَتْ بَنِي الشَّرقِ المَجِيدِ فَهَاهُمُ .. شَنُّوا عَلى الذُّلِّ الجِهَاد الفَاصِلا

فَاشْدُد بِرُوحِكَ أَزْرَهُمْ وَابْعَثْهُمُ .. في ظِلّكَ المَمْدُودِ بَعثًا فَاضِلَا

يَا سَلامِي اصْعد إلى دَارِ الخُلودِ

هَلْ دَرَى الطَّيَّارُ في جو السَّمَاءِ .. أَنْ قَلْبِي في جَنَاحِي طَائِرهْ

مَا لَهُ كَالطَّيفِ أَوْ كَالكَهْرَبَاءِ .. طَيْرُهُ أَمْضَى خُطًى مِنْ خَاطِرهْ

أَيُّهَا الطَّيّارُ نَجْوَى مُسْتَهَامْ .. وَاهِنِ الجَنْبَينِ مَغْلُول اليَمِينْ

سَاهِدِ العَينَينِ مَسْلُوبِ المَنَام .. سَاهِرِ الجِفْنَيْنِ، مَوصُولِ الأَنِينْ

هَاكَ جِسمًا دَقَّ كَالمَعنَى البَعِيدْ .. خَافِيًا لَولَا وَمِيضٌ مِنْ رَجَاءْ

خَافِقَ الأَعْضَاءِ كَالفِكْرِ الشَّرِيدْ .. خَافِتًا لَوْلَا لُحُونٌ مِن بُكَاءْ

شَاقَهُ قَبْرٌ مُنِيرٌ كَاليَقِينْ .. طَاهِرٌ كَالرُّوحِ في الجِسْمِ الطَّهُورْ
نَفْحُهُ مِنْ رَوضِ رَبِّ العَالَمِينْ .. رُكْنُهُ كَهْفٌ مِنَ الدَّهْرِ العَثُورْ

حَلَّ مِن طَيْبَةَ مَهْدِ الصَّالِحَاتْ .. مَوْطِنَ الطِّيبِ مِنَ المِسْكِ الرَّطِيبْ
يَهْتِفُ العَانِي بِهِ في النَّائِبَاتْ .. دَاعِيًا، والله للدَّاعِي مُجِيبْ

حَلَّ فِيهِ الوَحْيُ وَالحَقُّ المُبِينْ .. وَالهُدَى الوَضَّاحُ وَالدِّين القَوِيمْ
والجَنَانُ الثَّبْتُ، والخُلْقُ المَتِينْ .. والبَيانُ الصَّفْوُ، والفَضْلُ العَظِيمْ

يَا سَلَامِي اصْعَدْ إلى دَارِ الخُلُودْ .. وَاحْوِ خَيْرَ الزهْرِ مِنْ خَيرِ الغُصُونْ
وَاهْدِ رَيَّاهُ إلى خَيْرِ الوُجُودْ .. كُلِّهِ مَنْ كَانَ أَوْ مِمَّنْ يَكُونْ

النَّشِيدُ الإسْلَامِي

وُضِعَ هَذا النّشيدُ ليُهتَفَ بِه بَعدَ سَمَاعِ القِصَّةِ النّبويةِ إحياءً للعَهدِ الكَريمِ، وتَذكيرًا بالمَجدِ القَديمِ، والله المَسْئُولُ أنْ يُحيي في المُسلِمينَ رُوحَ العِزّةِ والسّناء، والقُوةِ والمَضاء، إنّه سَميعُ الدُّعَاء.

دَعَا الحَقُّ فَامضُوا وَشُقُّوا الزِّحَامْ .. وَسِيرُوا إلى المَجْدِ سَيرَ الكِرَامْ
دُعَاةَ السَّلامِ حُمَاةَ الصِّدَامْ .. أَلَسْتُم كَتائِبَ خَيرِ الأنَامْ
نَبِيكُم أَنْقَذَ العَالِمِينَ .. وَدِينُكُم للهُدَى خَيْرُ دِينْ
وَشَرْعُكُمُ الحَقُّ سَمْحٌ مُبِينْ .. وَقبْلَتُكم للبَرَايَا عِصَامْ

لِوَاؤُكُمُ ظَلَّلَ الخَافِقَينْ .. وَأسْلَافُكُمْ أَيْقَظُوا المَشْرِقَيْن
إذَا مَا غَدَوا بَيَّنُوا الخُطَّتَين .. فَسَنُّوا الكِتَابَ وَسَلُّوا الحُسَامْ

هُمْ مَحَقُــوا الظُّلَـم والظَّالِمينْ .. وَهُـم سَـحَقُوا الإِثْـمَ وَالآثِمِينْ

وَهُـم بَسَـطُوا ظِـلَّ عَـدلٍ أَمِيـنْ .. وَهُـم عَقَـدوا للِبَرايَـا الزِّمَـامْ

وَهُـمْ شَـرَعُوا للمِعَالِـي الكَمَـالْ .. وَهُمْ نَشَروا العِلْمَ سَهْلَ المَنَالْ

وَهُـم أدْرَكُـوا غَايَـةً لا تُنَـالْ .. وَهُـم بَلغُـوا مُرْتَقًّـى لَا يُـرَامْ

إلى المَجْدِ فَامْضُوا وَلَا تُحْجِمُوا .. أَلَا إنَّمـا يُقْــدِمُ المُسْـلِم

تُنَـادِيكُمُ فـي الثَّـرَى الأَعْظُـمُ .. رِدُوا المَـوْتَ أَوْ أَقْدِمُوا للأَمَامْ

نَفَحَاتُ المَوْلد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَحْمَدُ الله العَليَّ العظيم، وَأصلِّي وَأُسَلِّمُ على نبيِهِ الكَريمِ، وَبعْدُ فَقدَ طَلبَ إليَّ شَيخُ الُمقْرئينَ الأستَاذُ الشَّيخُ عَلي مَحمود[1] أنْ أَصُوغَ فصُولًا مِنْ القصَّةِ النبويَةِ عَلى سَجْعتينِ مُطردَتينِ؛ ليُحْتَفظَ للقصَّةِ بِنغمِهَا القَدِيم.

وَقد اسْتَخرتُ الله فَوفَقني لِمَا أرادَ، واللهُ وليُّ التوفيق.

عبد الله عفيفي

(١) هو: الشيخ علي محمود من مواليد سنة ١٨٩٧م، توفي سنة ١٩٤٦م ، وكان قارئ مسجد سيدنا الإمام الحسين، وكان منشد مصر الأول، ومن تلاميذه: الشيخ طه الفشني، والشيخ: كامل يوسف البهتيمي، والشيخ محمد الفيومي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرْفَعُ إلى الذَّاتِ العَليّةِ الإلهيَّةِ، أَطْيَبَ الحَمدِ وَأسْناهُ، وَأُصَلّي وَأُسَلِّمُ عَلى مَنْ بَثَّ في البَريَّةِ، رُوحَ الحقِّ وَريَّاهُ. مُحمَّدٍ المَبْعُوثِ بِالحكمَةِ الرّبَّانيَّةِ، الّذي علّمَهُ الله وَربَّاهُ. وَعَلى عِتْرَتهِ المُطَهَّرَةِ الزَّكيَّةِ، وَأصْحَابِهِ الأئمَّة الهُدَاة.

أمَّا بَعدُ، فِباسْمِ الله أُقدِّمُ القصَّةَ النَّبويَّةَ، قِصَّةَ المَولِدِ الّذي بَاركَهُ الله وَحيَّاهُ، أَجْلُوهَا لِلمُسْلِمينَ سَافرَةً طَاهِرَةً نَقيّةً، تُضِيءُ بِذِكْرِ الرَّسُولِ وَتحْيَا بِذكَراه. وَالله المَسْئُولُ أَنْ يَشمَلَ الأُمَّةَ المُحمَّديَّةَ بِعظِيمِ نِعمَتِهِ وَعَميمِ رِضَاهُ، وَأنْ يُؤلِّفَ بينَهَا بِألْفَتِهِ القَويَّةْ. وَأنْ يُورِدَهَا الخَيْرَ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ.

وَطنُ النّبي

لقَـدِ اصْطَفـى اللـه مُحمّـدًا للهِدَايـةِ العَالمِيّـةِ، وَعقَـدَ لَـهُ أَشْـرَفَ الكَمَـالِ وَأسْـمَاهْ، وَتَعاهَـدَهُ تبارَكـتْ قُدْرتُـهُ بِرِعَايتِـهِ الأَزليَّةِ، فطَهَّـر وَطنَـهُ وَبَيْتَـهُ وَأَوْلاهُ وَأُخْـرَاهْ، فَهـذِهِ مَكّـةُ المُبارَكَـةُ الصَّفيَّةُ النَّقيَّـةْ، وَطَنُـهُ الكَريـمُ، وَمنْشَـؤهُ وَمَرْبَاهْ، قَـدْ غمَرهَا الحَقُّ بِنَفْحَتِـهِ القُدْسـيَّةِ، فَخصَّهَـا بِـأوَّلِ بَيْـتٍ رَفعَـهُ اللـه، وَنشَـرَ عَليْهَـا رَايـةَ الأَمَـانِ عَاليَـةً أبيّـة، وَردّ عنهَـا كَيْـدَ الأَثمَـةِ وَصَوْلَـةَ الطُّغَاة، وَأبْقَـى لهَـا دَعـوةَ إِبْراهيـمَ خَالِـدةً مَقْضِيَّـة، فَصَـانَ البَيْـتَ الحَـرَامَ وَأمَّنَـهُ وَحَمَـى حِمَـاهْ، هَـذِهِ مَكَّـةُ قِبْلَـةَ الأَنَـامِ أَمَـانُ البَريَّـةِ، فَأكْـرِمْ بهَـا مِـن وَطَـنٍ أَنْبَـتَ الرَّسُـولَ الأَمِيـنَ وَأنْـمَـاهْ.

عَشيرةُ النّبي

وَلقَدْ تَداوَلتْ مَكّةَ مِنذُ القِدَمِ أُمَمٌ عَتِيدةٌ قويّةٌ، مَلَكتْ أَزِمَّةَ القُوَّةِ والحَضَارَةِ والجَاهْ، فلمَّا أَثْمَتْ أَخَذَهَا الله بَينَ بُكرةٍ وَعَشِيّةٍ، وَمَنْ يَأثَمْ بِمَكّةَ أضلَّهُ الله وَأرْدَاهْ، حتَّى أَقرَّهَا الله في أَيْدِي قُريشٍ ذَاتِ الطَّوْلِ والحَوْلِ والعِزَّةِ والحَميَّةِ، وَمَضَاءِ الرّأي وَسَنَاءِ الحَيَاةِ، وَكَانَتْ أَزِمَّةُ قُريشٍ السِّيَاسِيَّةُ وَالحَرْبيّةُ والأدبيَّةُ والاجْتِمَاعيّةُ، بِأيْدِي آبَاءَ النَّبيِّ السَّادةِ القَادةِ الأُبَاةِ الحُمَاةِ، وَكَانْت قُرَيشٌ أعرَفَ العَربِ بِالهِمَّةِ الفَتيَّةِ وَالفِطْنَةِ الألمَعيَّةِ، وَالعِلْمِ والحِكْمَةِ والحِلْمِ والأَنَاةِ، وَكَانَتْ لهَا تَقَالِيدُ تَقَبَّلتْهَا الأمَّة العَربيَّةِ، مِنْهَا إقَامَةُ المَنَاسِكِ والطُّهرُ مِن المُقَارَفَةِ وَالوفَاءُ بِمَا نَذرُوا لله، وَمِنهَا زَواجُهُمْ بِالصّدَاقِ وَتَأكِيدُهُ بِالشُّهُودِ وَبَراءتَهُم مِنْ سِفَاحِ الجَاهليَّةِ، وَمِنْ هَذا الزَّواجِ الكَريمِ وُلدَ رَسُولُ الله.

النَّسَبُ الشَّرِيفُ

هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ العُظْمَى وَالمَنْزِلَةِ العَلِيَّةِ، الأمِينُ المَأمُونُ الطَّاهِرُ المُطَهَّرُ، مُحمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ. وَعَبْدُ الله وَإِسْمَاعِيلَ هُمَا الذَّبِيحَانِ مِنْ آبَاءِ الحَضْرَةِ النَّبويَّةِ، كِلَاهُمَا قُدِّمَ للفِدَاء، وَكِلَاهُمَا أكْرَمَهُ الله وَافْتَدَاهْ. ابْن عَبْدِ المُطّلبِ وارِثِ السِّيادَةِ والقِيَادَةِ والرِّفَادَةِ والوِفَادةِ في الأمَّةِ العَربيَّةِ، وَهُو أحْكَمُ عَربيٍّ وَأنْبَلُهُ وَأجْمَلُهُ وَأبْهَاهُ. ابن هَاشِمٍ الّذي سَادَ العَربَ بِسيرتِهِ النَّديَّة وَفِطْرَتِه السَّخيَّةِ، وَقدْ سُمِّيَ هاشمًا؛ لأنّه هَشَّمَ الثَّرِيدَ وَأطْعَمَ الشَّعْبَ في المَجَاعةِ وَروَّاهْ. ابن عَبْدِ مَنَافٍ الّذي أوْلتْهُ قُريشٌ زَعَامَتَهَا الدِّينيَّةِ وَالدُّنيويَّةِ، ابن قُصيٍّ الّذي أجْلَى العَدُوّ عَنْ مَكّةَ وَأقْصَاهُ. ابن كِلَابِ الّذي يَلتَقِي فيهِ وَالدُ النّبيِّ بِأمِّهِ الشَّرِيفَةِ الزُّهْريَّةِ، ابن مُرَّة بنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَقدْ بَلغَ بهِ الكَرمُ مُنتَهَاهْ. ابْن غَالبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالكِ

بْنِ النَّضْرِ، وَهُو في أوْسَعِ الأقْوَالِ جَدُّ السُّلالَةِ القُرَشيَّةِ، ابْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ، وَأمُّهُ يَمَنيَّةٌ مُطَهَّرَةٌ مُجْتَبَاة. ابن إليَاسَ بْنِ مُضَرَ جَدِّ القَبائِلِ العَظِيمَةِ المُضَريَّة، ابْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، وَهُو غَايةُ النَّسبِ الصَّحيحِ وَمُنتَمَاه. تِلكَ هِي الشَّجرةُ الشَّريفَةُ الزَّكِيّةُ المُحمَّدِيّة، أصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا طَهَّرهُ الله وَزَكَّاهْ.

عَبْدُ اللهِ وَآمِنَة

كَانَ عَبدُ الله فتًى مُمتَازًا بِأخْلاَقه النَّبيلَةِ وَطَلْعتِهِ الجَمِيلَةِ وَشِيمتِهِ الحَيِيَّة، وَحُسنِ سَمْتِهِ وَرِقَّةِ طَبْعِهِ وَروْعَةِ سِيمَاه، وَكانَ لِسمَاحتِهِ وصَبَاحتِهِ وَرَجَاحتِهِ أعزَّ فتًى في الأُسْرَةِ الهَاشميّةِ، وكانَ أَبُوهُ يَصْطَفيهِ بحُبِّهِ وَيُؤْثِرُهُ وَيرْعَاهُ، ولمَّا بَلغَ الثَّالثَةَ والعِشْرِينَ زَوَّجَهُ مِن آمِنَةَ الشَّريفَةِ الزُّهْريَّةِ، وَهِي عَقيلَةُ أُسْرَةٍ قُرَشيَّةٍ عَرِيقَةِ الحَسَبِ عَرِيضَةِ الجَاهْ، ولمَّا أرَادَ الله أنْ يُذِيعَ في الوُجُودِ العَدْلَ وَالرِّفْقَ والسَّويَّة، وَأنْ يَشمَلَ العَالمَينَ برحمتِهِ وَنعمَتِهِ وَرِضَاهْ: حَمَلتْ فَخرُ النِّسَاءِ بسيّدِ البَرية، وَإِنَّ هَذا لَهُوَ الفَضْلُ العَظِيمُ مِنَ الله، وَأقَامَت آمِنَةُ شَطْرًا مِن حَمْلِهَا لا تَعْلَمُ بِمَا حفَّهَا مِنَ الألْطَافِ الخَفِيَّة؛ لأنّها لَمْ تَجِدْ وَحَمَ الحَمْلِ وَلَا وَصَبَهُ وَلا أَذَاهْ، حتّى أَخذَتْ تَسْتَمِعُ في هَدْأَةِ اللّيلِ الهَوَاتِفَ النَّجيِّة تُبشِّرُهَا بِسَعْدِ السُّعُودِ، وَأفْضَلِ الوُجُودِ وَأزْكَاهْ.

وَفَاةُ عَبْدِ الله

ولمّا كَانَ الحَمْلُ الشَّرِيفُ في شَهْرِه الرَّابعِ خَرجَ عَبْدُ الله إِلى الشَّامِ في رِحْلَةٍ تُجاريّةٍ، فَلمَّا قَضى مِنْهَا حَاجَتَه رَجَع عَائدًا إلى حِمَاهْ، وَبينَمَا هُو يَجْتَازُ المَدِينَةَ أدْرَكَتْهُ حُمَّى عاَتِيَةٌ ضَرِيَّة، فمَالَ إلى أَخْوَالِهِ مِن بني النَّجَّارِ ليَبْلُغَ رَاحَتَهُ وَيُعَالِجَ حُمَّاهْ. وبعدَ أنْ عَانى المَرضَ شَهرًا كَامِلًا نَفذَ فيهِ سَهمُ المَنيّةِ، فَدُفِنَ هُنَالِكَ بَيْنَ لَوْعَةِ الحُزْنِ وَأَسَاه، ولمَّا نَعَاهُ النَّاعِي إلى أبيهِ تَلقَّاهُ بِقَلبٍ مُحترِقٍ وَعَيْنٍ بَكيَّةٍ، أمَّا آمِنَةُ الوَفِيَّةُ فَقَدْ بَلَغَ بِهَا الحُزْنُ غَايتَهُ والكَمَدُ مَدَاه، وَتَركَ عَبْدُ الله قَطِيعًا مِن الغَنَمِ وَخَمْسًا مِن الإِبلِ وَجَاريةً حَبَشيَّة، وهَذا الَّذي تَركَهُ عَبدُ الله مِن دُنياهُ وَرِثَهُ عنْهُ رسُولُ الله.

لَيْلَةُ المَولِد

أَرَأيتَ إلى رَحمَةِ الله السَّماوِيَّةِ كيفَ تَنْتَظِمُ العَالَمَ أَدْنَاهُ وَأقْصَاهْ، وَإِلى نَفْحَتِه القُدْسِيَّةِ الفِرْدُوسِيَّةِ كيفَ تَغْمرُ الأرضَ والسَّمَاواتِ وَكُلَّ مَا خَلقَ الله، وَإِلى أَنْوارِهِ العَليَّةِ الإلهيَّةِ، كَيْفَ تتجَلَّى عَلى الكَونِ وَتَكْشِفُ دُجَاهْ. كُلُّ ذَلِكَ قَد قَضَى الله بِهِ حِينَ أَشْرَقتِ الذَّاتُ المُحمَّديَّة، وَعمَّ العَالمِينَ وَضَحُ سَنَاه وَنُورِ مُحيَّاهْ. سُبحَانَكَ اللّهُمَّ لقَدْ سَننْتَ في هَذِه اللّحظَةِ أَشْرَفَ مَبادِئَ الإنْسَانيَّة، وشَرَعْتَ أَسْمَى مَنَاهِجَ الخَيْرِ وَأشْرَفَ مَقَاصِدَ الحَيَاةْ.

كانَ ذَلِكَ في فَجْرِ اليَومِ التَّاسِعِ مِن رَبِيعٍ الأوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ مِيلادِيَّة. وَكَانَ الرّبيعُ في أَبْدَعِ حِلاهُ وأَطْيَبِ شَذَاه، وَكَانَتْ آمِنَةُ في أَصْفَى حَالاتِهَا الرُّوحيَّةِ والوِجْدَانيَّةِ، حِينَ حفَّهَا اللهُ بِرحمَتِهِ ورفَّهَا بِنُعْمَاه، فمَا ابْتَسَمَ

الفَجْرُ حتّى وَضعَتْهُ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ كَامَل الوصْفِ رافِعَ الطَّرْفِ إلى الآفَاقِ العُلوِيَّة، مَخْتُونًا مَسْرُورًا طَهّرَهُ الله وَاصْطَفَاه، ولمَّا رَأى عَبْدُ المُطَّلِب نُورَه السَّاطِعَ واجْتَلى جَبِينَهُ النَّاصِعَ واستَضَاءَ بِطَلعَتِه البهيَّة، سمَّاهُ مُحمَّدًا، وقَالَ: سَيَكُونُ لابْني هَذا شَأنٌ تَعْنُو لَه الجِباه.

الرضاع

كَانَ أَشْرَافُ مَكَّة يُرسِلونَ أبْنَاءَهم مُنذُ الطُّفولَة الأُولَى إلى الأَرجَاءِ البَدَويّة، وَهُنَالِكَ يَقضِي الطِفْلُ أمدَ رَضَاعِهِ وَمبْدَأ نَشْأتِه وَصِبَاه، وَهُم يَرونَ أنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَبُثُ في الطِّفْلِ القُوَّة الأدَبِيةَ والبَدَنية، وَيُذْكِي عَزِيمتَهُ وَيُثِيرُ حَمِيَّتَهُ وَيُضيء نُهَاه، فَلمَّا جَاءَ وَفْدُ المَرَاضِعِ خَصَّه الله بحَلِيمَةَ السَّعْدِيّة، فَذَهَبَتْ تَحْمِلُه إلى بَادِيتِهَا وَتحمِلُ مَعه تَيْسِيرَ الله وَرِضَاه، وَهُنَالِكَ أقَامَ صَلّى الله عليهِ وآله وسلَّمَ أَرْبَعَ سِنين أفَاضَ الله عَلَيْهِ فِيهَا مِنَ القُوةِ الجَسَديّةِ والرُّوحية ما لم يُقيَّضْ في قَدِيمِ الزَّمانِ، وحَديثِهِ لأحَدٍ سَوَاه.

شمائل الرسول

لقد اجتمعَ لمُحمَّدٍ رَسُولِ الله مَا لَمْ يَجتمِعْ لأحدٍ مِنَ الكَمالاتِ النَّفْسيّةِ وَالحِسيَّةِ، فمَا بلغَ نبيٌّ مَبْلَغَهُ وَلا أَدْرَكَ رَسُولٌ مُرتَقَاه، فهو في قُوَّته الرُّوحيَّةِ والمَعْنَويَّةِ وفي مَحَاسِنِه الخَلْقِية والخُلُقيَّة، وفي عِلمِهِ وَحلْمِهِ، وَفي قَولِهِ وَحُكْمِهِ، وَفي إِيمَانِهِ وَتقوَاه قَد بَلغَ الغَايةَ التي تَقَاصَرَتْ عَنهَا الصِّفَاتُ اللّفْظِية، فمَا استطَاعَ البَيانُ أَنْ يُحيطَ بحِلاَهُ، أَوْ أَنْ يَرتَقِي إلى عُلاه، فَأينمَا رَأيْتَهُ فَقَدْ غَمرتْكَ الرَّحْمَةُ التي تَمْلِكُ النُّفُوسَ النَّافِرَةَ والقُلُوبَ العَصِيّةَ، وَبَهرَكَ النُّورُ الذي يَسْرِي العَالمُونَ في مَشَارِقِ هُدَاه، وشَفَّتْ لكَ نفْسُهُ السَّافِرَةُ الطَّاهِرَةُ، وَرُوحُهُ الزَّكِيَّةُ المَلكيَّة، وَملكَ قلبَكَ بَيانُهُ الّذي تَصغُرُ الدُّنْيا عَن سُمُوِّ مَرْمَاه، وشَرَحَ صَدْرَكَ جَلالُ رُجُولتِهِ وكَمَالُ بُطُولتِهِ وانْسِجَامِ قَسَمَاتِه البَدَنيّةِ، فَتَبَارَكَ الّذي صَاغَهُ

مِـنْ مَعْـدِنِ الكَمَـالِ وَجَـلَاه. لقَـدْ كَانَ صَلّـى اللـه عليـهِ وآلـه وسلَّمَ يُصافِـي البَائِسِـينَ وَيُجَالِـسُ المَسَـاكِينَ وَيُؤثِرُهُـمْ عَلـى نَفْسِـهِ الكَرِيمَـةِ النَّبَويَّـةِ، وَهُـو الّـذي كَانَـتْ تَنْعَقِـدُ لهَيْبَتِه ألسِـنَةُ الطُّغَـاةِ وتَـذِلُ لعِزَّتِـهِ أعْنَـاقُ العُتَـاة، وكَانَ حِلمُـه يَسَـعُ الجَاهِلِينَ، وَعفْـوُهُ يَشـمَلُ الخَاطِـينَ، فَـلا مَوْجِـدَةَ وَلا حَفِيظَـةَ وَلا غَضْبَـةً جَاهِليَّـة، عَلـى أنَّـه كَانَ كَالأسَـدِ الهَصُـورِ والسَّـيفِ المَشْـهُورِ إِذَا انتُهِـكَ حَـدٌّ مِـن حُدُودِ اللـه، وَكَانَـتْ قُوَّتُـهُ فَـوقَ كُلِّ مَنَـالٍ وَشَـجَاعتُهُ فَوقَ كُلِّ مَقَـالٍ، فَـلا خَـوْفَ وَلا وَجَـلَ وَلا إِحْجَـامَ وَلا تَقِيَّـة. وَمِـنْ قَـولِ عَلـيِّ بْـنِ أبـي طَالِـبٍ كَـرَّمَ اللـه وجْهَـهُ، كُنَّـا إِذَا اشـتَدَّ الـرَّوْعُ وَاحْمَـرَّت الحَـدَقُ نَلـوْذُ بِرسُـولِ اللـه، وكَانَ مَـعَ عُلُـوِّ مَنزلتِـهِ التـي لا تُدَانيهَـا مَنزِلَـةٌ عِنـدَ الـذَّاتِ العَليَّـةِ الإلهيَّـةِ، يَبْكِـي خَشْـيَةً مِـنَ اللـه، وَيَقْطَـعُ الّليـلَ بِالصَّـلاةِ حَتـى تَتَـورمَ قَدَمَـاه، وَكَانَ المَثَـلَ الأعْلَـى فـي الصَّبْـرِ عِنْـدَ المِحْنَـةِ والرِّضَـا عِنـدَ المَكْـرُوهِ والبَـذْلِ مِـن نَفْسِـهِ الزَّكِيَّـةِ، لا يُبَالِـي بِمَـا أَصَابَـه

مِن ضُرٍّ ولَا يَكْتَرِثُ بِمَا نَالَهُ مِنْ شِدَّةٍ مَا دَامَ ذَلِكَ للهِ وَفي اللهِ، وَكَانَ وَجْهُهُ وَقَلْبُهُ وَسَرِيرَتُهُ وبَصِيرتُهُ في جَلْوَةٍ نُورَانِيَة، فَلَمْ يَضِقْ لحْظَةً بِشَيءٍ مِنْ عَنَتِ النَّاسِ وَعِبءِ الحَيَاة. بِهَذِهِ الشَّمَائِلَ الكَرِيمةِ، وَتِلكَ الأَخْلَاقِ العَظِيمَةِ، وَهَذِهِ الصّفَاتِ القُدْسِيَّة، قَادَ مُحمَّدٌ الأمَّةَ الإسْلاميَّةَ فَألَّفَهَا في ذَاتِ اللهِ، وَجمَعَهَا عَلى كَلِمةِ اللهِ.

استغاثة

سُبْحَانَكَ يَا مَن إليهِ تَتَّجِه قُلوبُ البريَّةِ، يَا مَن يَقْبَلُ المُنِيبَ إِذَا لبَّاه، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاه.

يَا عَالِم السّرِّ والنَّجْوَى، وَكَاشِفَ النِيّةِ والطَّوِيةِ، يَا مَن تَفرّدَ بِالمَجْدِ والقُدرةِ والكمَالِ في عُلَاه.

أسْألكُ بِحقِّ عِزّتِكَ الأزليَّةِ الأبَديَّة، وذَاتِكَ الصَمديِّةِ الأحَديَّة، وَبحقِّ مَن قَرنْتَهُ بِاسمِكَ الكَريمِ في شَهَادةِ أنْ لا إِلَه إلَّا الله، وأنَّ مُحمَدًا رَسُول الله؛ أنْ تَشمَلَ بِرعايتِك وتَوفيقِكَ الحَضْرَةَ المُبَارَكةَ الفَاروقيّة، وَأنْ تَحوُط بِعَوْنِك وَعِنَايتِكَ وَعِصمَتِكَ وَكرامَتِكَ ذَاتِها المُفدَّاة، وَأنْ تُؤَازِرَ بِقوَّتِكَ القَاهِرَة وَقُدْرَتِكَ البَاهِرة، وَنَفْحَتِكَ الطَّاهِرةِ الأمَّةَ الإِسْلَاميّة، وَأنْ تَعصِمَهَا بِحبْلِكَ وَتَمُدهَا بِحولِكَ وَتَحْبُوهَا

عِزَّ الجَاهِ وَرفعَةَ الحَيَاة، وَأنْ تَتَعاهَد مُؤلِّفَ هَذه القِصَّةِ وَقارِئهَا وَسَامِعهَا وَكاتِبهَا بِرحمَتِكَ الفَيْضِيَّة، فَإنَّك مَالِكُ المُلكِ وَهَادي الهُدَاة.

كتبها محمود الشحات الخطاط

١٣٥٦هـ-١٩٣٧م

تم بحمد الله

فهرس